القراءة أولاً

محمد عدنان سالم

المحتوى

القراءة أولاً

هل نحن نقرأ

نحن عازفون عن القراءة

على طريق القراءة

اقرأ.. ما أنا بقارئ

الهزة العنيفة

#>اقْرَأْ@>{٩٦/١:١-١{.. إيذان بمحو الأمية وبداية عصر العلم

قدسية القراءة

كرامة الإنسان بالقراءة

القراءة والقلم

مفهوم القراءة

لماذا القراءة؟

قالوا في القراءة

القراءة مفتاح العلم

اقرأ وارقَ

القراءة طريق الأمم إلى الرقي

عظماء التاريخ قرّاء نهمون

القراءة الدائمة تعلُّم مستمر

القراءة باب للاجتهاد والإبداع

تحت سن القلم يصنع مستقبل الأمم

هل ثمة ما ينافس القراءة

أهداف القراءة ووظائفها

القراءة قبل الولادة

القراءة الجينية

آدم يقرأ الأسماء

القراءة الجنينية

القراءة في المهد

الأذان في أذن المولود

قراءة الوجوه والقسمات

قراءة اللغات صامتة ومكتوبة

القراءة في المدرسة

القراءة في مجال التخصص المهني

القراءة خارج نطاق التخصص

ولمواجهة تحديات العصر

في عالم الأفكار

الوصاية على الأفكار

طوق النجاة في خضم الأفكار

تعريف لا وصاية

المناعة وحدها تحصن القارئ من التلوث

مسؤولية الناشر وشرف المهنة

القراءة والقراء

١- العاجز عن القراءة

٢- القارئ الصدئ

٣- قارئ الديكور

٤- القارئ المتعالم

٥- المولع باقتناء الكتب

٦- القارئ الناضج

٧- القارئ الناقد

التغيير

من العزوف إلى الولع

التفاوت في قبول التغيير

التفاوت في القابلية للتغيير

التفاوت في سرعة التغيير

مراحل عملية التغيير

من أجل تكوين عادة القراءة
دور البيت
دور المدرسة
دور المجتمع
معارض الكتاب
جهود أخرى لتنمية عادة القراءة
تهادي الكتب
مهارات القراءة
حركات العينين
القراءة الجهرية والصامتة
السرعة في القراءة
القراءة المثمرة
تنمية مهارات القراءة
القراءة بحسب الهدف
قراءة القرآن
القرآن يرسم لنا طريقة قراءته
كيف كانت قراءة رسول الله للقرآن؟
كيف قرأ أسلافنا القرآن؟
اقرأ القرآن كأنه يتزل عليك
كيف نوفر للقراءة الوقت والمال؟
وأخيراً
المراجع

محمد عدنان سالم

القراءة أولاً..

#>الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (*) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (*) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً@>{١٨/١:١+، ١٨/١:٢+، ١٨/١:٣-٣]<pt> {الكهف: ١٨/١-٣<pn>[.

#رقم؟باب#مداخل

#رقم؟فصل#القراءة أولاً

دون مقدمات، ودون أن أهون من أهمية أيٍّ من العناوين الأخرى، أود أن أخترق سلم الأولويات، وأن أقفز بعنواني (القراءة.. أولاً) إلى مرتبة الصدارة، وأضعه في المقدمة، تاركاً لأصحاب العناوين الأخرى أن يبحثوا عن مكان لها، وراء هذا المطلب الكبير.

فنحن نلمح في الساحة الثقافية عناوين شتى، ترتب حاجات المجتمع، كل منها تعطي الأولوية لما يرى كاتبها أنه الخطوة الأولى، ونقطة البداية، ومفتاح النهضة، وسرُّ التقدم، الذي لا يمكن ولوج باب الحضارة بدونه، ولا يغني شيء آخر عنه، بل إن محاولة تجاوزه تعتبر مضيعة للوقت.

أستعرض من هذه العناوين: العقيدة أولاً، الحرية أولاً، الديمقراطية أولاً، الوحدة أولاً، الاقتصاد أولاً.

قبل أن (تقرأ) لن نستطيع أن نعتنق عقيدة، ولا نتذوق حرية، ولا نمارس ديمقراطية، ولا نكون وحدة ولا نبني اقتصاداً.

إن الشعب الذي لا يقرأ، لا يستطيع أن يعرف نفسه، ولا أن يعرف غيره. و(القراءة) هي التي تقول لنا: هنا وقف السلف من قبلكم، هنا وصل العالم من حولكم، من هنا يجب أن تبدؤوا؛ لكي لا تكرروا الجهود التي سبق أن بذلها الآخرون، ولا تعيدوا التجارب التي مروا بها، ولا ترتكبوا الأخطاء التي ارتكبوها.

#رقم؟فصل#هل نحن نقرأ؟

وبلا مقدمات أيضاً، سوف أبادر للإجابة عن هذا السؤال بالنفي: نحن لا نقرأ.

فالكتاب الذي يتزايد إنتاجه في العالم تزايداً مطرداً، في عدد العناوين المنشورة، وفي عدد النسخ المطبوعة، يشكو في عالمنا العربي من الهجران، ويعاني أزمة كساد، اضطرت معظم الناشرين، بمن فيهم ناشرو القطاع العام، إلى تخفيض عدد العناوين المنشورة، وعدد النسخ المطبوعة من كل عنوان.. اضطروا إلى ذلك، في الوقت الذي كان ينبغي لهم أن يرفعوا فيه من كميات مطبوعاتهم، ليواكبوا التزايد المطرد في

عدد السكان، والتناقض في عدد الأُميين، نتيجة لجهود مكافحة الأُمية، ولتطبيق تشريعات التعليم الإلزامي، وليلبوا الحاجات الثقافية المتزايدة، في مجتمع عصري معقد ومتشعب، ومتطلع إلى النمو.

وأزمة الخليج عام ١٩٩٠ مرت بنا، دون أن نستطيع قراءتها في ضوء التاريخ، ولا في ضوء الواقع، فضلاً عن المتوقع. لقد كان كل شيء في هذه الأزمة مبرمجاً، ومخططاً له بدقة، ومعلناً عنه في وقت مبكر، في كتب ودراسات ترجمت إلى لغتنا العربية، ونشرت في أوطاننا، وفي مقابلات صحفية أجريت على أراضينا... مررنا بها جميعاً؛ كأننا لا نقرأ، أو كأنها لا تعنينا.

ولقد استطاع المخططون لهذه الأمة، أن يحركوا شارعاً عريضاً، لعبوا بعواطفه مستخدمين النصوص الدينية، مطمئنين إلى أنها قد أضحت لديه شكلاً خالياً من المضمون، يستطيع كلا الطرفين أن يستتر وراءه، متجاهلاً الواقع والتاريخ والحقيقة.

#عنوان؟جانبي؟أول#نحن عازفون عن القراءة

ناشئتنا لا تقرأ.

بعض خريجي الجامعات يتباهون بأنهم لم يقرؤوا كتاباً منذ ودعوا مقاعد الدرس.

مدرسونا تتناقص معلوماتهم عاماً بعد عام بسبب إهمالهم القراءة، بينما المعرفة تتفجر من حولهم.

وإذا كنا نملك إحصائيات عن عدد الأُميين في العالم، فإننا لا نعرف إلا القليل جداً عن ملايين البالغين من غير الأُميين الذين يندر أن يفتحوا كتاباً أو مجلة.

لقد أخفقنا في إكساب ناشئتنا عادة القراءة ومهاراتها. ولابدَّ من التوفر على دراسة الطرق العلمية المتبعة في العالم لتشجيع الناس على القراءة، وإغراء المتعلمين الذين هجروا القراءة بالعودة إليها.

#رقم؟فصل#على طريق القراءة

في آخر صيف عام ١٩٥١، اجتمع في واشنطن نفر من الكتاب والناشرين وأمناء المكتبات ورؤساء أقسام الثقافة والإرشاد، وكان الذي يعنيهم ويسيطر على تفكيرهم أن يجيبوا عن هذا السؤال: ((لقد أصبحت (القراءة) في العصر الحديث أمراً حيوياً لا يستطيع مجتمع أن يحيا بدونه.. أصبحت اليوم حاجة و لم تعد ترفاً. فما الذي يمكن أن نفعله لنشجع الناس على القراءة، ونرغبهم بالاستزادة منها؟)).

وأنا أقول: إذا كانت (القراءة) عند الأميركيين قد أصبحت (الآن) وفي (العصر الحديث) أمراً حيوياً وحاجة ملحة، بسبب حداثة عهدهم بالحضارة، فإنها عندنا لكذلك منذ أن دوت

#>اقْرَأْ@<{٩٦/١:١-١}؛ أول كلمة هبط بها جبريل من السماء على محمد رسول الله (ص) في غار حراء، فترددت أصداؤها في جنبات مكة، وهبَّ لها أجدادنا من نومهم العميق، وانطلقوا على هديها يقرؤون وحي السماء، ويقرؤون علوم الدنيا التي كانت سائدة في عصرهم، حتى إذا استوعبوها، حفظوها وطوروها وأضافوا إليها، وأبدعوا الكثير مما لا يزال ينسب إليهم ويسمى بأسمائهم، وكانت

حصيلتهم من الكتب، أعلى حصيلة عرفتها البشرية في التاريخ، وفهارس مخطوطاتهم تضم عشرات الآلاف من العناوين، بعضها احتفظت به خزائن الكتب، وبعضها عصفت به رياح الفتن، وغزوات الهمج الذين (لا يقرؤون).

وإذا كنا قد انتابتنا غفوة طويلة، تخلفنا بسببها عن ركب الحضارة، فإن كلمة (اقرأ) لا تزال قادرة على إيقاظنا، وحفزنا لنعود سيرتنا الأولى.

وهذا الكتاب محاولة متواضعة للإجابة عن سؤال الْغُيُر على (القراءة): ((ما الذي يمكن أن نفعله لكي نشجع الناس على القراءة، وعلى الاستزادة منها؟))، ولسوف يجيب من خلال هذا السؤال الكبير عن أسئلة فرعية هامة: ما القراءة؟ لماذا (القراءة.. أولاً)؟ لماذا لا تقرأ؟ لماذا يجب أن نقرأ؟ متى نقرأ؟ ماذا نقرأ؟ كيف نقرأ؟

#رقم؟فصل#اقرأ.. ما أنا بقارئ

روى الإمام البخاري عن عائشة تصف كيفية بدء الوحي وتقول:

((أول ما بدئ به رسول الله (ص) الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال له: اقرأ! فقال ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ! فقلت ما أنا بقارئ، قال فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: #>اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (*) خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (*) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (*) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (*) عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ@>{٩٦/١:١+، ٩٦/١:٢+، ٩٦/١:٣+، ٩٦/١:٤+، ٩٦/١:٥-٥}. فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: زملوني! زملوني! فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا! والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل..)).

#رقم؟فصل#الهزة العنيفة

كم يهزني هذا الحوار العنيف؟! أتخيله صوتاً وصورة؛ بين جبريل الملك المرسل بآخر وحي من السماء، ومحمد ممثل الإنسانية التي تجاوزت مراحل طفولتها، وبلغت سن الرشد والتمييز، الذي يؤهله لاستلام زمام أمرها فيما بقي لها من عمرها المديد. كل ذلك في سلسلة من المشاهد المتلاحقة والمثيرة:

#عنوان؟جانبي؟أول#المشهد الأول

جبريل يقتحم على محمد غار حراء، ومحمد يغالب نعاساً غشيه إثر سهره الطويل، في الليالي ذوات العدد. وجبريل حين اقتحم الغار، لم يكن خلقاً مألوفاً يمكن لإنسان أن يستأنسه.. ياهول المفاجأة التي تنخلع لها القلوب، رغم ما يقتضيها من طبيعة الرسالة وحجم المهمة.

– جبريل (بصوت جهوري تردد صداه في جنبات الغار، حتى امتصته حنايا الصخور): اقرأ.. رأ.. رأ..!!

– محمد (بصوت متهدج يتملكه الخوف والدهشة): ما أنا بقارئ... لا أريد... ما القراءة؟ ماذا أقرأ؟

#عنوان؟جانبي؟أول#المشهد الثاني

جبريل يجذب محمداً إليه بشدة، ويعيد تبليغه الأمر الإلهي، بكل جدية وحزم وإصرار:

– اقرأ، يجب أن تقرأ.. إنها الرسالة، إنه القول الثقيل الذي سيلقى عليك، ولن تقوى على حمله والصدع به إن لم تقرأ.

– محمد (يلتقط أنفاسه، وقد أرسله جبريل بعد ضمة عنيفة، كادت تزهق لها نفسه، ويستجمع قواه ثاينة ليقول بتبرم، وبصوت أعلى نبرة): دعني.. أنى لي أن أقرأ، كيف تريدني أن أقرأ، وما أنا بقارئ؟!

#عنوان؟جانبي؟أول#المشهد الثالث

الملَك (وقد رأى مبلغ الجهد والتيقظ والاستعداد الذي بلغه من محمد) يضمه إليه ضمة أكثر حنواً، ويهدئ من روعه، ويعيد على مسامعه الأمر الإلهي بالقراءة، ويسترسل:

#>اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (*) خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (*) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (*) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (*) عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ@>{٩٦/١:١+، ٩٦/١:٢+، ٩٦/١:٣+، ٩٦/١:٤+، ٩٦/١:٥-٥}.

#عنوان؟جانبي؟أول#المشهد الرابع

محمد، يرجع من الغار، يرتجف فؤاده.. يدخل على خديجة: زملوني! زملوني!.. يزملونه حتى يذهب عنه الروع، ويقص على خديجة خبر ما رأى وما سمع.

وتتتابع المشاهد حية مثيرة.. حتى ينهض محمد بالرسالة!!

وأستميح القارئ عذراً في أن أمضي مسترسلاً في قراءتي لهذا النص العجيب، الذي سجل (بداية الوحي) في (آخر اتصال) بين السماء والأرض، أستشف منه ما يشيء به من معانٍ ثرة: #>اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ@>{٩٦/١:١-٥{ #>اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (*) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ@>{٩٦/١:٣+، ٩٦/١:٤-٣}.

#عنوان؟جانبي؟أول#(اقرأ) إيذان بمحو الأُمية، وبداية عصر العلم

(اقرأ): كانت الكلمة (الأولى) في الخطاب الإلهي (الأخير) الموجه إلى الإنسان؛ بها بدأت الرسالة، وبها ختمت النبوة، أية كلمة سحرية هذه، التي بها انقطعت الصلة بين السماء والأرض؟!

(اقرأ)! فإذا قرأت فإنك لن تكون بحاجة إلى إرشاد جديد من السماء، إنها الثقة الكبيرة التي منحها الله تعالى للإنسان، بعد أن وهبه العقل، والوسائل التي تكفل له تحصيل المعرفة، وأمره باستخدام هذه الرسائل وحذره من إهمالها وجعله مسؤولاً عن تعطيلها:

#>وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً@>{١٧/١:٣٦-١٦]<pt> {الإسراء: ٣٦/١٧<pn>].

علم، سمع، بصر، فؤاد، مسؤولية؛ كلمات عظيمة، ذات دلالات كبيرة في المصطلح القرآني، تختزلها جميعاً كلمة (اقرأ)، ويمثلها (الكتاب) الذي جعله الله معجزة الرسالة الخاتمة:

#>وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّما الآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنا نَذِيرٌ مُبِينٌ (*) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ@>{٢٩/١:٥٠+، ٢٩/١:٥١-٦]<pt> {العنكبوت: ٢٩/٥٠-٥١<pn>].

#عنوان؟جانبي؟أول#قدسية القراءة

والقراءة، إنما يمارسها الإنسان باسم ربِّه الذي خلق، وبأمر صارم حازم منه تعالى، ذلك أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وليس من اللائق بخليفة الله في الأرض أن يكون أُميّاً، بل يجب عليه أن يقرأ ليتخلص من جهله وأميته، ويكون جديراً بسجود الملائكة له:

#>وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ (*) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (*) قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (*) قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (*) وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ@>{٢/١:٣٠+، ٢/١:٣١+، ٢/١:٣٢+، ٢/١:٣٣+، ٢/١:٣٤-١٣} <pt>[البقرة: ٢/٣٠-٣٤]<pn>.

لقد اعترض الملائكة على استخلاف الله للإنسان في الأرض لأنهم توقعوا منه الفساد فيها وسفك الدماء، فأراد الله تعالى أن يثبت لهم أفضليته عليهم، فعلَّمه الأسماء، ودعاهم للإدلاء بمعلوماتهم عن الأسماء فعجزوا، وأنبأهم آدم بالأسماء، فأثبت نجاحه في المسابقة وجدارته بالخلافة في الأرض بفضل العلم.

ومثلما استمدت (القراءة) قدسيتها من قول الله تعالى: #>اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ@>{٩٦/١:١-٥} فإن اشتقاق اسم (القرآن) من (القراءة)، يضفي عليها مزيداً من القداسة.

وبعض سور (القرآن) بدأت بأحرف مفردة مثل (أ. ل. م) (ع. س.ق) لتضفي القدسية على (الحرف) الذي تتألف منه الكلمات، ولتمنحه احتراماً ظل الناس يحافظون عليه، ما أظلتهم ظلال الحضارة، وعندما غربت عنهم شمسها، فقدوا احترامهم للحرف، وتقديسهم للكلمة، فأهملوها، ورموا بها في

الطرقات، وألقوها مع النفايات، واتخذوا منها مقاعد ومتكآت، بدلاً من أن يرفعوها إلى رؤوسهم، لتكون زاداً لعقولهم، ونوراً لأفكارهم.

#عنوان?جانبي?أول#كرامة الإنسان بالقراءة

#>خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (*) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ@>{٩٦/١:٢+، ٩٦/١:٣-٣]<pt> {العلق: ٩٦/٢-٣]<pn>.

الإنسان المخلوق من علق، يقرأ فيسمد الكرامة من الله (الأكرم).

كم هو كريم على الله هذا الإنسان، بدأ خلقه #>مِنْ طِينٍ@>{٣٢/٩:٧-١٠]<pt> {السجدة: ٣٢/٧]<pn> ثم علَّمه الأسماء ليرفع مكانته فوق الملائكة (بالعلم)، و#>ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ@>{٣٢/١:٨-٨]<pt> {السجدة: ٣٢/٨]<pn> و#>مِنْ عَلَقٍ@>{٩٦/٣:٢-٤]<pt> {العلق: ٩٦/٢]<pn> ثم أمره بالقراءة ليثبت أن قيمته وكرامته إنما هي بـــ(العلم) الذي به يسمو على الخلائق غير عابئ بأصله الترابي، ولا مكترث لأصولهم النورانية.

لقد تحدى الله ملائكته بالإنسان الذي أساؤوا به الظن، فلم يتوقعوا منه إلا الفساد في الأرض وسفك الدماء، ولئن مارس الإنسان منذ بدء الخليقة بعض توقعات الملائكة لجهله وعدم استكماله (العلم)، إنه سوف يكف عن الفساد وسفك الدماء كلما ارتقى في معارج (العلم) حتى يحقق حسن ظن الله به.

لقد علَّمه الله الأسماء ليحقق له الفوز على الملائكة في تحدي (السجود)، وأمره (بالقراءة) وبالاستزادة من العلم #>وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً@>{٢٠/١٤:١١٤-١٧]<pt> {طه: ٢٠/١١٤]<pn> لكي يستكمل علمه ويحقق فوزه النهائي على الملائكة بالإقلاع عن ممارسة شيء من توقعاتهم، ويثب جدارته بتكريم الله له #>وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ@>{١٧/١:٧٠-٤]<pt> {الإسراء: ١٧/٧٠]<pn>.

#عنوان?جانبي?أول#القراءة والقلم

حين نزل جبريل يأمر محمداً بالقراءة، لم يدفع إليه ألواحٍ ليقرأ فيها، وإنما تلا عليه كلاماً، وأمره بتتبعه، لو أنه دفع إليه بألواحٍ لما استطاع أن يقرأ فيها، لأنه (ص) أُميّاً لا يقرأ الكتاب #>وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتابَ الْمُبْطِلُونَ@>{٢٩/١:٤٨-١٣]<pt> {العنكبوت: ٢٩/٤٨]<pn> كأن القراءة (القرآنية) لم ترتبط بالنظر فقط، وإنما ارتبطت بمجموعة (السمع والبصر والفؤاد) التي هي وسائل المعرفة (بالمصطلح القرآني).

غير أن هذا الذي لاحظناه من واقعة التنزيل، خاص بالنبي (ص)، ليكون دليلاً على صدق نبوته ومؤيداً للإعجاز القرآني، حيث ظل الرسول (ص) إلى آخر حياته أُميّاً لا يقرأ الخط المكتوب ولا يكتب، غير أن ذلك لم يمنعه من تبليغ رسالة الله التي أوحي بها إليه #>وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (*) إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ

يُوحَى@>{٥٣/١:٣+، ٥٣/١:٤-٥} كما أن أميّته لم تمنعه من عقد المعاهدات وتوجيه الرسائل إلى الملوك.

أما بالنسبة إلى عموم النص، فإن القراءة التي أُمرنا بها هي قراءة الكتاب، الذي يخطه القلم.. القلم الذي سخره الله ليكون أداة لتعليم الإنسان ما لم يعلم. #>اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (*) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (*) عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ@>{٩٦/١:٣+، ٩٦/١:٤+، ٩٦/١:٥-٥}.

وللقراءة بمفهومها المعاصر، المرتبط بالقلم والكتاب، مكانة عظيمة في القرآن الذي تحدث عن كل ما يتعلق بالكتاب من أدوات.. تحدث عن القلم وما يسطرون، وعن الكتاب المسطور في رقٍّ منشور، وعن طيِّ السجل للكتب، وعن الخط والمداد والقرطاس #>وَلَوْ أَنَّ ما فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ@>{٣١/١:٢٧-١٧<pt> {لقمان: ٣١/٢٧<pn>].

ولقد كتب الناس بالقصد والمداد على الرق والألواح وجريد النخل والعظام، والحجر، ثم اخترعوا الورق، وطوروا قلمهم ومدادهم، حتى أصبح جافاً يصطحب في الجيب دون حاجة إلى مداد (حبر) ودواة، واخترعوا المطبعة فأصبح القلم حرفاً معدنياً بارزاً ثم أملس، تستلمه الآلة الطابعة منضداً فتطبع عليه ملايين النسخ، لتحل بذلك محل ملايين النساخ الذين كانوا ينسخون كتبهم بأيديهم.

ثم تابع القلم تطوره حتى أصبح يكتب أحرفاً ضوئية تختزن في ذاكرة الحواسب، التي أضحت امتداداً لذاكرة الإنسان، يستطيع أن يستدعي فيها ما يشاء، فيظهر أمامه مضاءاً على الشاشة.

وطبعت المعلومات على أقراص يختزن القرص الواحد منها موسوعة تضم عدة مجلدات، فاختزلت الكتب الضخمة في أقراص صغيرة، ثم ركبت أمواج الأثير فأصبحت المعلومات تنتقل بسرعة الضوء لتكون في خدمة الإنسان حيث كان، إنها ثورة المعلومات، وأنت تعيش في عصر المعلومات، الذي أصبحت ثروات الأمم والأفراد تقاس بها، وأصبحت قيمة الإنسان ومكانته وتقدمه رهناً بما يمتلك من هذه الثروة (ثروة المعلومات).

ولئن تحدث القرآن عن التطور عند ذكر وسائل المواصلات التي عرفها الإنسان في عصر التنزيل، فقال: #>وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ@>{١٦/٦:٨-٩<pt> {النحل: ١٦/٨<pn>]، كما تحدث عن التطور في الخلق فقال: #>يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ما يَشاءُ@>{٣٥/١٤:١-١٨<pt> {فاطر: ٣٥/١<pn>]، إنَّا لا ندري أين ستصل بنا رحلة القلم والقرطاس والمعرفة في عصر ثورة المعلومات. فلتقبل على ما يتيسر لك منها، ولتقرأ ما في وسعك #>وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً@>{٢٠/١٤:١١٤-١٧<pt> {طه: ٢٠/١١٤<pn>].

#رقم؟فصل#مفهوم القراءة

#عنوان؟جانبي؟أول#ما القراءة

في المعاجم: (قرأ) الشيء (قرآناً) جمعه وضمَّ بعضه إلى بعض، ومنه سمِّي (القرآن) لأنه يجمع السور ويضمها، وقوله تعالى: #>إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (*) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ@<{٧٥/١:١٧+، ٧٥/١:١٨-٤]<pt> {القيامة: ٧٥/١٧-١٨<pn>[أي قراءته.

و(قرأ) الكتاب قراءةً وقرآناً؛ تتبع كلماته نظراً، سواء أنطق بها كما في (القراءة الجهرية)، أو لم ينطق بها كما في (القراءة الصامتة).

و(قرأ) الآية من القرآن، نطق بها عن نظر أو حفظ.

و(قرأ) عليه السلام، أبلغه إياه.

وهكذا فالقراءة في المعاجم، تعني فيما تعنيه: الجمع واضم والتتبع والإبلاغ، وقد تكون القراءة من الكتاب نظراً، أو من الذاكرة المختزنة حفظاً، وقد تكون جهراً أو سرّاً، وقد تكون استماعاً كما في حديث بدء الوحي.

ولقد تطور مفهوم (القراءة) من المعنى البسيط السهل الذي يتمثل في القدرة على التعرف على الحروف والكلمات، والنطق بها صحيحة، وهذا هو الجانب الآلي من القراءة، إلى العملية العقلية المعقدة التي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط، ثم التحليل والمناقشة، وهي (القراءة الناقدة) التي تحتاج إلى إمعان النظر في المقروء، ومزيد من الأناة والدقة.

أما (القراءة) التي نعنيها، والتي هي موضوع بحثنا، فهي قراءة الرموز التي يتلقاها الإنسان عن طريق عينيه – أو عن طريق ملامسه بالنسبة لفاقد البصر –، هذه الرموز التي تتمثل بالحروف والكلمات المكتوبة، وتختزن المعارف والمعلومات في بطون (الكتب)، والتي ما تزال أداة الإنسان الرئيسية لاكتساب المعرفة والاتصال بالآخرين، ووسيلته للرقي والتقدم.

#رقم؟باب#لماذا؟

#رقم؟فصل#لماذا القراءة؟

عندما أطلق الروس قمرهم الصناعي الأول، اهتزت الأوساط التربوية في أميركا، وكان السؤال الكبير هو: كيف استطاع الروس أن يسبقونا في مضمار الفضاء؟ وبعد الدراسات المستفيضة جاء الجواب: لقد أخفقت المدرسة الأميركية في تعليم تلامذتها القراءة الجيدة، ورفع المسؤولون عن التربية شعاراً يؤكد أن (من حق كل طفل أن تهيأ له جميع الفرص ليكون قارئاً جيداً).

لماذا كل هذا الاهتمام بالقراءة؟ وهذا التركيز على أنها كانت السبب الرئيسي في تخلف الأميركيين في جانب من جوانب العلم؟ ترى هل تساءلنا عن أسباب تخلفنا في كل جوانب الحياة؟ وهل لموقفنا من القراءة علاقة بهذا التخلف؟

#رقم؟فصل#قالوا في القراءة

سئل فولتير عمن سيقود الجنس البشري فأجاب ((الذين يعرفون كيف يقرؤون)).
ولو رحنا نبحث في حياة المتفوقين في تاريخ البشرية لوجدنا أنهم كانوا قرّاءً نهمين يتمثلون ما يقرؤون، ويضيفون إليه من ذوات نفوسهم وبنات أفكارهم ما يحقق لهم فرص الإبداع والتفوق.
يقول عباس محمود العقاد: ((لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أزداد عمراً في تقدير الحساب، إنما أهوى القراءة لأن لي في هذه الدنيا حياة واحدة، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقاً، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب؛ فكرتك أنت فكرة واحدة، شعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، ولاقيت بشعورك شعوراً آخر، ولاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، وأن الشعور يصبح شعورين، وأن الخيال يصبح خيالين.. كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والامتداد)).
سأل أحد أبناء الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس أباه قائلاً: ((إذا سألني الناس عن مهنتك، فماذا أقول لهم يا أبتاه؟)) فقال: ((يا بني! قل لهم إن أبي دائم التجوال ليلقى الأدباء والعلماء والمفكرين، من كل عصر وجنس ودين، يصغي إلى الأموات منهم، كما يصغي إلى الأحياء، يصافحهم على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصله عنهم.. إنه لا يعبأ بحدود جغرافية ولا فترات زمانية)).
الكاتب الفرنسي مونتين يقول: ((أن تقرأ، يعني أن تجد الصديق الذي لن يخونك أبداً)).
وهذا المعنى هو عين ما قاله شاعرنا العربي في صياغة شعرية عذبة:
#شعر؟شطر؟أول#كتابي فيه بستاني وروحي
#شعر؟شطر؟ثاني#وفيه سمير نفسي والنديم
#شعر؟شطر؟أول#يجالسني وكل الناس حرب
#شعر؟شطر؟ثاني#ويسليني إذا عرت الهموم
#شعر؟شطر؟أول#ويحيي لي تصفح صفحتيه
#شعر؟شطر؟ثاني#كرام الناس إن فقد الكريم
#شعر؟شطر؟أول#إذا اعوجت علي طريق قومي
#شعر؟شطر؟ثاني#فلي فيه طريق مستقيم
قال الرئيس الأميركي الثالث جيفرسون: ((إن الذين يقرؤون فقط هم الأحرار، ذلك لأن القراءة تطرد الجهل والخرافة، وهما من ألدِّ أعداء الحرية)).

ويروى أن أحد العلماء جاءه رسول الخليفة يقول له: ((أمير المؤمنين يستدعيك))، فقال له: ((قل له عندي قوم من الحكماء أحادثهم فإذا فرغت منهم حضرت)). فلما عاد الرسول إلى الخليفة وأخبره الخبر، سأله: ((ويحك! مَن هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده؟)) قال: ((والله يا أمير المؤمنين ما رأيت عنده أحداً)) قال: ((اذهب فأحضره الساعة)) فلما حضر سأله الخليفة: ((من هؤلاء الذين كانوا عندك؟))، فقال: يا أمير المؤمنين:

#شعر؟شطر؟أول#لنا جُلساءٌ ما نملُّ حديثهم

#شعر؟شطر؟ثاني#أمينون مأمونون غيباً وشُهَّداً

#شعر؟شطر؟أول#يفيدوننا من علمهم علم ما مضى

#شعر؟شطر؟ثاني#ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤدداً

#شعر؟شطر؟أول#فإن قلت أمواتٌ فلم تعدُ أمرهم

#شعر؟شطر؟ثاني#وإن قلت أحياءٌ فلست مُفَنَّداً

فعلم الخليفة أنه يشير إلى (الكتب)، فلم ينكر عليه تأخره.

#رقم؟فصل#القراءة مفتاح العلم

القراءة هي الوسيلة الأساسية للاتصال بين الأفراد والمجتمعات، فهي أداة الإنسان لكسب المعارف والتعلم، وهي أداة المجتمع للربط بين أفراده، وهي أداة البشرية للتعارف بين شعوبها مهما تفرقت أوطانهم، وبين أجيالها مهما تباعدت أزمانهم.

وإذا كان الكتاب هو الخزانة التي تحفظ الخبرات المتراكمة من الأجيال الماضية، فإن القراءة هي المفتاح الذي يتيح الانتفاع بهذه الخزانة، وهي الوسيلة التي تمكن الخلف مهما كان قزماً، وأن يطل من فوق كتف السلف مهما كان عملاقاً، ليشاهد كل ما شاهده السلف، وأشياء أخرى لم يدركها السلف و لم يشاهدوها، فتتفتح لهم على قدر قراءتهم رؤى جديدة، ومفاهيم جديدة، ويضيفونها إلى خزانة معارفهم، ويُغْنون بها أفكارهم، فتتطور حياتهم، ويتغلبون على مشكلاتهم، ويرتفع مستواهم، ويتقدمون على من سواهم.. تلك هي سنّة الله في المجتمعات البشرية: من يقرأ أكثر ينل أكثر، ويرتق أكثر.

#رقم؟فصل#اقرأ وارقَ

((اقرأ وارتقِ)) جزءٌ من حديث لرسول الله (ص)، ومعناه أنك على قدر قراءتك تنال من الرُّقي [رياض الصالحين ١٠٠٠].

وإذا كان الفهم التقليدي لهذا الحديث يقصر القراءة على القرآن، والجزاء على الآخرة، فإن قراءة غير القرآن إنما هي من مقتضيات القراءة الواعية للقرآن، وتنفيذٌ لأمره الناسَ أن يسيروا في الأرض، فينظروا كيف بدأ الخلق.

إن القراءة الواسعة العميقة الشاملة لتراث البشرية، هي التي تجعل الإنسان عالمياً يتجاوز الألوان والأجناس والألسن والمعتقدات.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة طريق الأمم للرقي

فاليونان، الذين كانوا أكثر الناس قراءة، وأكثرهم إنتاجاً فكرياً في الفلسفة والحكمة والشعر، سيطروا على أكبر رقعة من العالم أيام الإسكندر تلميذ أرسطو (المعلم الأول).

والمسلمون، الذين انطلقوا من (اقرأ)، وطلبوا العلم من كل مصدر، نالوا من كرامة الله لهم في الدنيا، وسعة السلطان في الأرض، في أقصر وقت، ما لم ينله غيرهم بمثل هذه السرعة.

والغربيون الذين يتمتعون بخيرات العالم في عصرنا، هم الأكثر صلة بالقراءة، والأعلى رقماً في عدد ما يصيب الفرد الواحد منهم من الكتب والصحف والمجلات.

واليابان، هذا القزم العملاق، تخلص من الأُمية قبل نهاية القرن التاسع عشر، وزادت عناوين الكتب الجديدة التي تصدرها دور النشر اليابانية فيه سنوياً على ٣٥ ألف عنوانٍ.

#عنوان؟جانبي؟أول#عظماء التاريخ قرّاء نهمون

القراءة الدائمة، والتهام الكتب، والتحايل للحصول عليها، وإدمان التردد على المكتبات، كان ذلك كله دأب العلماء، وتكاد لا تجد إنساناً ذا وزن في التاريخ وإلى يومنا هذا، إلا وجدت وراءه نهماً للقراءة: الجاحظ، مات تحت ركام الكتب، فكان شهيد القراءة، لقد كان الجاحظ قارئاً نهماً؛ عالمياً في قراءته، إنسانياً في ثقافته، يتناول الأمور برحابة صدر، بعيداً عن الكزازة، فكانت كتب الجاحظ تعلم العقل.

السيد المرعشي الذي أسس في (قم)، أكبر مكتبة عامة في إيران بجهده الشخصي، كان يعشق الكتاب، ويهبه كل ما يملك. روى لي ولده أنه ذات يوم رهن عباءته في كتاب خشي أن يفوته قبل أن يتدبر ثمنه.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة الدائمة تعلُّم مستمر

عن طريق القراءة ينطلق الفرد في التعلم المستمر، الذي أضحى ضرورة لمواكبة التطور العلمي والفني، وللتكيف الشخصي مع المتغيرات السريعة، والمستحدثات العصرية، وتوسيع مدى رؤية الفرد للأشياء.

ومهما كان مجال تخصص الفرد، فإنه سوف يجد معلوماته تتناقص عاماً بعد عام، إذا أهمل القراءة، بينما المعرفة تتفجر من حوله سواءً في نطاق اختصاصه المهني، أو في نطاق عالم الأفكار الذي لا يكف عن السير الحثيث، غير عابئ بالمتثائبين ولا بالحالمين المسترسلين في التأملات، ولا بالعابثين السادرين في الغفلات.

إن القراءة المستمرة، هي وحدها طريقك إلى التكيف مع العالم من حولك، وهي دأب جميع الأمم الحية المتطلعة إلى غدٍ أفضل، وهي ما عبّر عنه أسلافنا، شعاراً رفعوه (طلب العلم من المهد إلى اللحد)، وسلوكاً طبقوه إيماناً منهم بأن (طلب العلم فريضة).

أما الإهمال والغفلة والإخلاد إلى اللهو، وإراحة العقل من التفكير، دون أن تقدم له الزاد الذي يحفظ عليه حياته، والرياضة الذهنية التي تكفل له نموه، فسوف يؤدي ذلك به إلى الضمور طبقاً لسنة الله في الأحياء (العضو الذي لا تستخدمه يضمر)، وسوف يدخل ذلك بصاحبه إلى (الكهف) ليغمض عينيه، مشاركاً أهله في نومهم العميق.. فإذا قدرت له ذات يوم (صحوة)، فوجئ بما لم يألفه، ودهش لما لم يعرفه، وأنكر ما حوله، وتلطف عائداً أدراجه إلى كهفه، قبل أن يشعر به الناس، فيأخذوا به إلىمتاحف التاريخ.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة باب الاجتهاد والإبداع

المعارف تتراكم، وتنمو بالاجتهاد، يضيف إليها كل جيل بمقدار ما يتمتع به من قدرة على قراءة الرصيد الذي قدمته إليه الأجيال السابقة، ووعي لمكونات هذا الرصيد، وتحليل لها في ضوء مؤشرات الزمان والمكان، وإعادة تركيبها والإضافة عليها بما يصلح للحاضر وينير طريق الأحفاد في المستقبل.

إن توقف جيل من الأجيال عن مثل هذه القراءة يؤدي به إلى الجمود، والتقليد، ويقعد به عن مرتبة الاجتهاد والفعالية، ويتخلف به عن ركب الحضارة والتقدم، فيتجاوزه (التاريخ)، ويرمي به في سلة (المهملات).

و(باب الاجتهاد) لا ينفتح أو ينغلق بأمر ولا بفتوى، إنما يتحرك هذا الباب انفتاحاً أو انغلاقاً بمقدار (القراءة) والاطلاع على موارد الأدلة ومصادرها، ومعرفة السياق التاريخي والواقع، فالقارئ الذي يتوغل بقراءته إلى أعماق التاريخ، ويجول ببصره في رحاب الواقع لا يستطيع أحد، مهما انغمس في ربقة الآبائية والتقليد أن يمنعه من الاجتهاد وتقديم رؤى جديدة تستوعب الرؤى السالفة وتأخذ بأحسنها، ثم تضيف إليها. وهكذا تسنى لأسلافنا أن يصححوا مفاهيم أسلافهم ويطوروها ويضيفوا إليها جيلاً بعد جيل.

ولو أنهم توقفوا طويلاً عن العطاء، لبعدت بنا الشقة، وانسلخنا عن جذورنا، ولانقطعت حبال التواصل بيننا وبين تراثنا، وتعطلت الشرائع.

إن الذين لا يقرؤون التاريخ والآداب والشرائع، ولا يطلعون على أحداث العالم، ومستجدات الأفكار، ولا يقارنون بينها، لا يمكن أن يزكو على أيديهم علم، ولا ينهض بهم اجتهاد أو يتحقق إبداع. وسوف يتجاوزهم التاريخ، ملقياً بهم في حاوية المهملات.

#عنوان؟جانبي؟أول#تحت سن القلم يصنع مستقبل الأمم

إنه، يابن مشارف القرن الحادي والعشرين، لا عذر لك إذا فاتك ركب القارئين، فتقدموا وقعدت تندب حظك وتخلفك المشين.

لقد كانت العقبات التي تحول بين أجدادك وإشباع رغبتهم بالقراءة هائلة، لكنهم تخطوها كلها بعزيمتهم وطموحهم.. كانت الكتب نادرة، تنسخ بالأيدي، وتكلف الكثير من المال، وكانت مبعثرة متباعدة في

أصقاع الأرض، فحجوا إليها يبحثون عنها في كل مكان، وبذلوا فيها أغلى الأثمان، وها هي الكتب مبذولة من حولك، معروضة على رفوف المكتبات، متنوعة الأفكار والموضوعات، تتلألأ كالبستان يضم أنواع الزهور، تناديك لتقتطف منها ما يحلو لك، فأقبل عليها ولا تتردد.

إن مشكلتنا الأساسية هي في القراءة؛ فتحت سن القلم يُصنع مستقبل الأمم، ومستقبل الأفراد كذلك.

دأبك على القراءة سوف يوسع دائرة خبراتك، ويفتح لك أبواب الثقافة عريضة، خارج إطار مقاعد الدرس والجامعات، ويساعدك في حلِّ مشكلاتك، وفي اتِّزانك الشخصي وطمأنينتك النفسية وتعايشك مع الآخرين، ويهذب مقاييس الذوق لديك، ويحقق لك إلى جانب العلم والثقافة كثيراً من المتعة والتسلية.

بادر إلى أي كتاب يستهويك، واعقد العزم على تخصيص وقتٍ معين لقراءته، ينسجم مع ظروف عملك. فلسوف تجد في نفسك من المتعة ما يدفعك إلى الاستزادة، وما يجعلك تندم على الوقت الذي ضيعته دون قراءة، وتشفق على الآخرين الذين لا يمارسون هوايتك الممتعة الغنية. إن فطرتك تدعوك إلى القراءة، لا إلى الهروب منها، وإهمال القراءة مناقض للفطرة، ربما ينجم عن الانغماس في مشاغل الحياة، أو في هوايات أقل جدوى، أو في متع رخيصة، فإذا عدتَ إلى فطرتك في القراءة، وجدتَ فيها من المتعة والفائدة ما لا توفره لك هواية أو عادة.

القراءة متعة عظيمة، بسعر رخيص بالمقارنة مع تكاليف الهوايات الأخرى، والقراءة لا تقيدك بزمان، ولا مكان، فأنت تستطيع أن تقرأ وقتما تشاء وأينما تريد. والقراءة نوع من رياضة العقل، إذا مارستها نشط لها عقلك واعتادها.

وهذه الكتب طوع بنانك، تدعوها فتقبل عليك، وتتركها فلا تشكو الهجران.

فلتقبل على القراءة بشغف ونفس راضية، ولتحافظ على الكتاب محافظتك على أعز ما تملك، حتى يكون الكتاب صديقك الذي لا يفارقك، يبدد وحشتك، ويؤنس وحدتك، وتجد فيه بغيتك.

#رقم؟فصل#هل ثمة ما ينافس القراءة؟

يرى البعض أن عوامل التثبيط عن القراءة أقوى من عوامل التشجيع عليها، فمشاغل الحياة، وهموم العيش، لا تبقي للقراءة وقتاً كافياً، ولا ذهناً صافياً، والإنسان من طبعه أنه يؤثر السهل على الصعب، والراحة على التعب، مما جعل كُتّاب الإعلانات التجارية ومصممي كتب الاستعمال (الكتالوكات) يستخدمون الصور المتتابعة لتغني الناس عن القراءة، وأخذت القراءة الخفية العابرة تزاحم القراءة الجدية المثمرة، كما أخذ السمع ينافس العين عبر الكلمة المذاعة، ثم تعاونت العين مع الأذن لصرف الإنسان عن القراءة وجذبه إلى الشاشة الكبيرة منها والصغيرة.

ولكن، على الرغم من تعدد وسائل الاتصال والثقافة في العصر الحديث، من إذاعة وتلفاز وفيديو وسينما، فإننا نرى أن القراءة مازالت تحتفظ بأهميتها، حيث إن القارئ يملك القدرة على اختيار المادة التي تخدم حاجاته، والوقت والمكان المناسبين للقراءة، وإمكانية التوقف عن القراءة لتأمل الأفكار المعروضة، ومراجعتها لتثبيتها، أو مناقشتها ونقدها، أو التعمق فيها وتذوقها.

ولو رحنا تقارن بين القراءة وبين هذه الوسائل لألفينا أن القراءة تتمتع بسبع مزايا تجعلها تتفوق بها، وهي:

حرية الاختيار، حرية الوقت والمكان، الرخص واليسر، البقاء ودوام الاقتناء، سهولة المراجعة، سلامة اللغة، سهولة التثبيت في الذاكرة.

جاء في المثل الصيني: ((أسمع فأنسى، أقرأ فأتذكر)).

ولنا أخيراً أن نتساءل: هل الصحافة، والإذاعة، والتليفزيون؛ بديل للكتاب، أم حافز على قراءته؟

الواقع أنها يمكن أن تلعب الدورين؛ فقد تكون مرغبة بالقراءة مشجعة عليها عن طريق برامج التعريف بالكتب، ولفت الأنظار إليها، وإثارة المناقشات حولها، وعقد المناظرات وندوات الحوار بين مؤلفيها.

وقد تكون صارفة للناس عن الكتاب، بإهمالها له وإعراضها عنه، واكتفائها بعرض المواد الترفيهية، والأخبار المثيرة، والبرامج المشوقة، فلا تترك للكتاب وقتاً، ولا تلفت إليه نظراً.

وبعد، فقد تساءل بعض الكُتَّاب الغربيين: هل يستطيع المرء أن يعيش دون قراءة؟ وراحوا يستطلعون الآراء، فجاءت النتائج عندهم أن:

٢٥% يقرؤون كتاباً كل شهر.

٥٠% يقرؤون كتاباً كل عام.

٦٥% يقرؤون مجلة أسبوعية بانتظام.

٨٠% يقرؤون صحيفة يومية بانتظام.

والباقون يكتفون بمشاهدة التليفزيون والاستماع إلى وسائل الإعلام الأخرى.

أما بالنسبة إلينا فنحن لا نملك مثل هذه الإحصاءات في مجتمعاتنا، بل ربما كنا غير راغبين بها خشية انكشاف ما استتر عن عيوننا، والذي تفضحه بطريقة أخرى أزمة الكتاب، وضآلة العناوين التي ننشرها وكميات الكتب التي نطبعها بالنسبة إلى عدد السكان.

#رقم؟فصل#أهداف القراءة ووظائفها

#عنوان؟جانبي؟أول#لماذا تقرأ

تؤدي القراءة على المستويين الفردي والاجتماعي ثلاث وظائف تتجلى في:

١- المجال المعرفي: لإشباع الحاجات المعرفية للفرد والمجتمع في سني التحصيل الدارسي ومابعدها.

٢- المجال النفسي: للمساعدة على التكيف النفسي، ومواجهة حالات الإحباط والانفعالات.
٣- المجال الاجتماعي: للمساعدة على التكيف الاجتماعي، والتبادل الثقافي بين الشعوب.
أما أهداف القراءة فقد لخصها (جري وروجرز) فيما يلي:
١- خضوعاً للعادة.
٢- شعوراً بالواجب.
٣- لمجرد ملء الفراغ.
٤- للتعرف على الأحداث الجارية.
٥- للمتعة أو الفائدة الشخصية المباشرة.
٦- استجابةلحاجات عملية في الحياة اليومية.
٧- تحقيقاً للحاجة إلى التسلية.
٨- لممارسة مهنة، والرغبة في تطوير العمل.
٩- استجابة لحاجات اجتماعية مدنية.
١٠- لغايات التطور الشخصي، وتكملة المكتسب الفردي.
١١- تلبية لمتطلبات فكرية بحتة.
١٢- تلبية لمتطلبات فكرية بحتة.
١٢- تلبية لحاجات روحية.
وألخصها أنا بالقول:
أقرأ لكي أكون إنساناً جديراً بالكرامة الإنسانية.
#رقم؟باب#ماذا؟
#رقم؟فصل#القراءة قبل الولادة
#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة الجينية
لقد خُلق الإنسان قارئاً، ومزوَّداً بكمية كبيرة من المعلومات.. إنه يقرأ صفاته النوعية، وكثيراً من قواعد السلوك في كتاب مورثاته (جيناته)، ويلتزمها بكل دقة، فإذا ما وسع قراءته إلى مورثات الآخرين، وضمَّها إليه، أمكن أن يرتقي في سلم الكمال، وتحسين النوع إلى مستوى أفضل.
لقد أدرك الناس منذ القدم، ما للوراثة من أثر كبير في الحفاظ على النوع، ومارسوا التهجين لتحسين النسل، ثم جاء علم الوراثة الحديث ليؤكد قدرة الإنسان على الاحتفاظ بصفاته المميزة، والحصول لسلالاته من بعده على أحسن فرص الحياة، من خلال التعمق في دراسة المورثات (الجينات) وخصائصها.

وها هو القرآن الكريم يرسم لنا صورة رائعة لميثاق كبير، استقر في مورثات الإنسان: فطرةً فطر اللهُ الناسَ عليها #>لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ@>{٣٠/١١:٣٠-١٤]<pt> {الروم: ٣٠/٣٠<pn>[.
#>وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هَذا غافِلِينَ (*) أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ@>{٧/١:١٧٢+، ٧/١:١٧٣-١٥} <pt>[الأعراف: ٧/١٧٢-١٧٣]<pn>.

لا أريد أن أتدخل في هذه الصورة خشية أن أشوهها، بل أترك للقارئ أن يستمتع بهذا المشهد العظيم، الذي تم فيه أخذ الميثاق؛ البيعة، بإيجاب وقبول بين الله الخالق الواحد الأحد وجموع البشرية المحتشدة بكل أجيالها، ممثلة بمورثاتها (جيناتها): #>أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى@>{٧/١٣:١٧٢-١٦}.

وأنتقل إلى صورة أخرى لقراءة جينية، لا تقل عن سابقتها روعة:

#عنوان؟جانبي؟أول#آدم يقرأ الأسماء

ففي البدء كان الكلمة، وعندما أراد الله أن يخلق آدم من طين، ويحمله مسؤولية خلافته في الأرض، #>وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها@>{٢/١:٣١-٤}، وسلَّحه بالعلم والمعرفة، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء، فعجزت الملائكة، وأنبأهم آدم بها، فأثبت جدارته، وفاز في مسابقته الملائكة #>وَلَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السّاجِدِينَ@>{٧/١:١١-١٦]<pt> {الأعراف: ٧/١١<pn>[.

وسكن آدم وزوجه الجنة، وقبل أن يهبط إلى الأرض ليتقلد فيها منصب الخلافة تعرض لامتحان جديد، كان أشد وطأة من امتحانه الأول، حين أغراه الشيطان بالأكل من الشجرة التي نهاه الله هو وزوجه عن الأكل منها، فاستجاب لإغراء الشيطان وعصى وزوجُه أمر ربهما، فبدت لهما سوءاتهما، وتعلما من تجربتهما درساً قاسياً، وقفا على أثره في قفص الاتهام #>وَناداهُما رَبُّهُما أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ@>{٧/١٥:٢٢-٢٨]<pt> {الأعراف: ٧/٢٢<pn>[فلم يتنصلا من المسؤولية، و لم يلقيا بالتبعة واللوم على الآخرين، بل #>قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ@>{٧/١:٢٣-١٢]<pt> {الأعراف: ٧/٢٣<pn>[، فنجَّاهما في الامتحان الثاني، وأثبتا جدارتهما بالخلافة فقال تعالى: #>إِنّا عَرَضْنا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإِنْسانُ@>{٣٣/١:٧٢-١٤]<pt> {الأحزاب: ٣٣/٧٢<pn>[، وصدر حكم الله تعالى بهبوطهما إلى الأرض ليحملا أمانتها والمسؤولية عنها التي تعهدوا بحملها بمحض إرادتهما واختيارهما.

ولئن كان آدم قد خاض منفرداً تجربته الأولى مع الملائكة (والتي كانت في اتجاه واحد لا منازع فيه)؛ إنّه في تجربته الثانية مع الشيطان قد تعزز بزوجه لتشد من أزره في حلبة الصراع، وليتعاونا في معترك الحياة، يتعلمان فيها من تجاربهما وأخطائهما، كيف يصلان إلى الحق عبر الباطل ويهتديان إلى الرشد عبر الضلال، #>وَنَفْسٍ وَما سَوّاها (*) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها (*) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها (*) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها@>{٧:١/٩١+، ٨:١/٩١+، ٩:١/٩١+، ١٠:١/٩١-٤]<pt> {الشمس: ٧/٩١-١٠]<pn>.

وتكاثرت الذرية من آدم وحواء وقال الله: #>يا أَيُّها النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ@>{١٣:١/٤٩-١٦]<pt> {الحجرات: ١٣/٤٩]<pn>.

وظلت قراءة آدم للأسماء التي علمه إياها الله، وكرمه بمعرفتها، وللمسؤولية التي حملها إثر تجربته الأولى مع الشيطان، وأثبت بها جدارته بالخلافة في الأرض... ظلت مستقرة في مورثات الأجيال، فطرةً تقرؤها عندما تخلق.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة الجنينية

وفي الرحم، كانت أمك تقرأ لك أمانيَّها وأحلامَها، تناجيك وأنت جنين في بطنها، فتسري نجواها إلى ذاكرتك البكر، لتكون أول المدخلات المختزنة فيها.

#رقم؟فصل#القراءة في المهد

#عنوان؟جانبي؟أول#الأذان في أذن المولود

سنّة شرعها الإسلام، ليكون الأذان أولَ ما يقرع سمع المولود وهو يستقبل الحياة. عن أبي رافع قال: رأيت رسول الله (ص) ((أذَّن في أُذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة)) رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث صحيح.

قال ابن القيم: ((سرُّ التأذين، والله أعلم، أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرَّب وعظمته.. وغير مستنكر وصول التأذين إلى قلبه، وإن لم يشعر)).

#عنوان؟جانبي؟أول#قراءة الوجوه والقسمات

#>وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ@>{١:٧٨-١٥]<pt> {النحل: ٧٨/١٦]<pn>.

فمن أجل أن يتعرف المولود على محيطه الجديد، ويتكيف مع بيئته، ويتعرف على مجتمعه، فإنه يقرأ في وجوه الآخرين وقسماتهم، سلوكهم وتصرفاتهم، كما يقرأ الكيفية التي يستقبلون فيها سلوكه وتصرفاته.. إنها اللغة الصامتة بلا أحرف ولا أصوات، فهل يقرأ في وجوههم البشاشة أو التقطيب تعبيراً

عن الرضا أو الغضب حيال تصرفاته، وتستقر هذه المعلومات في ذاكرته وفؤاده، استعداداً لتوسيعها عن طريق ما وهبه الله من وسائل المعرفة؛ السمع والبصر.

وتلك هي قراءة (الفطرة)، حيث كل مولود يولد على الفطرة، مزوداً بكمية من المعلومات المختزنة في ذاكرته، والتي تجعل منه عالماً صغيراً، بالرغم من أن مَنْ حوله لا يستطيعون ان يكتشفوا ما يدور في ذهنه، لانعدام اللغة المشتركة بينهم وبينه.

وهي مرحلة (المهد) التي يبدأ الإنسان فيها بتلقي (العلم)، وعليه أن يواصل مسيرته مع العلم والتعلم، إلى أن يدخل في (اللحد).

#عنوان؟جانبي؟أول#قراءة اللغات صامتة ومكتوبة

ويبدأ الطفل بقراءة اللغة الصائتة، وهي المؤلفة من أصوات تخرج من الأفواه، وتتمايز حسب تفاوت مخارجها بين الحلق والشفتين، وتشكل رموزاً تعبر، حين يتركب بعضها مع بعض، عن معانٍ ومدلولات، وتختلف هذه الرموز من بيئة إلى أخرى #>وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِلْعالِمِينَ@>{٣٠/١:٢٢-١٣]<pt> {الروم: ٣٠/٢٢<pn>[.

ثم يتدرج الطفل ليقرأ اللغة المكتوبة، فتزداد معارفه بقدر ما نوليه من اهتمام ورعاية، وما نقدم له من زاد معرفي يشبع نهمه وتطلعاته.

إن ما يميز الطفولة المبكرة في عمر الإنسان هو قابليته للنمو الجسدي والمعرفي بشكل متسارع وملموس، ومثلما يحتاج نموه الجسدي إلى الغذاء المركز، فإن نموه المعرفي يحتاج كذلك إلى الزاد العلمي المركز، وذاكرته البكر متأهبة لتلقي المزيد من المعلومات، بل إن نهمه إلى المعرفة، وحبه لاستطلاع محيطه يثير في نفسه كماً كبيراً من الأسئلة، يستقبله بعض الآباء بالتجاهل فيصيبون طفلهم بالإحباط والخيبة، لكنه لا يملك من تكرار أسئلته عليهم من جديد ليروي ظمأة إلى المعرفة.

ولقد درج الناس على إهمال تعليم أطفالهم (القراءة) قبل سن الخامسة ظنّاً منهم أن الطفل في مرحلة (الحضانة) لا يُحسن تلقي المعلومات عن طريق البصر كما يتلقاها عن طريق السمع، فيكتفون بتلقينه اللغة الصائتة، ويحرمونه من متعة اكتساب المعرفة عن طريق البصر بواسطة القراءة للكلمة المكتوبة، قبل أن يجلس لتلقيها على مقاعد الدرس.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة في المدرسة

وعلى مقاعد الدرس تبدأ رحلتك مع الحرف المكتوب، ومع الكتاب.. تتلقى فيها تعليمك الإلزامي، وتلقن أساسيات العلوم، دون أي خيار لك فيما يقدم إليك من زاد، بل إن عليك أن تزدرد الجرعات التعليمية حتى لو لم تستسغها، وأن تتبنى كل وجهات النظر المدرسية حتى لو لم تأنس من نفسك القناعة بها، وأن تسير في برنامجك التعليمي حسب المنهج المعد لك دون أن تحيد عنه قيد أنملة.. وإلا سقطت في

الامتحان. هذا ما اقتضته أنظمتنا التعليمية، ومضت في تطبيقه دون أي اكتراث بالمواهب الشابة، وإيجاد المناخ الملائم لتفتحها ونموها، دون مبالاة بما قد ينجم عن أحادية الثقافة من برمٍ بها وعزوف عنها.

إنه نظام التعليم من أجل الحصول على الشهادات العلمية، والشهادات أوراق ضرورية لطرق أبواب الحياة، وتأمين المستقبل، وحتى التخصص العلمي فهو محكوم بالعلامات لا بالميول.

وما على الملكات الشابة إلا أن تطفئ ظمأها العلمي والأدبي خارج نطاق البرامج التعليمية، ولا تدع لقناعاتها فرصة للتدخل أو التأثير على هذه البرامج، فمعايير الامتحانات، والسلالم المعدة لمنح العلامات، لا تكترث إلا بما هو منصوص عليه في الكتب المقررة، وكم يُسْعدُ الطلبة أن يقوم معلموهم بالتخفيف عنهم بحذف بعض الصفحات من الكتب المقررة، وكثيراً ما يعمد الطلبة إلى مساومة معلميهم ليتكرموا عليهم بمزيد من المحذوفات، وأحياناً تقع الكارثة عندما تأتي بعض أسئلة الامتحان من هذه المحذوفات.

إن هذا النظام التعليمي ربما يكون صالحاً لمحو الأمية، وإزالة عارها.. وهو على كل حال ناجح في تكوين الركائز العلمية لثقافة مشتركة تنتظم كل أفراد المجتمع، وتوحد معلوماتهم، حتى يخرجوا من مقاعد الدرس نسخاً متطابقة، يحملون ثقافة آلية، مثل كل منتج صناعي تنتجه الآلة، فيأتي متشابهاً في السمات والأوصاف، وأي شذوذ عن المواصفات المقررة، سوف تلفظه (مراقبة الجودة)، وترميه في سلة التالف (الستوك).

ولكن هل يستطيع الإنسان أن يضع عقله في (قالب)، مثلما كان الصينيون يضعون أرجل أولادهم في (قالب) ليصوغها في شكل معين، ويمنعها من التمدد خارجه؟!

#رقم؟فصل#القراءة في مجال التخصص المهني

وحين يبلغ الإنسان أشده، وسواءً أكان ما يزال على مقاعد الدرس يتابع تخصصه في الدراسات العليا، أم كان قد غادرها إلى معترك الحياة، ومجالات العمل والتخصص المهني، فإنه سوف يبحث خارج (المقررات) عن الوسائل التي يستطيع بها أن يحقق شخصيته، ويثبت تفرده وإبداعه..

قراءته الحرة هذه، هي المعنية بقولنا: (القراءة أولاً).

ففي مجتمع العمل الذي نعيش عصره، ومهما كان تخصصنا المهني، في مجال الصناعة أو التجارة أو الزراعة، وفي ميدان الطب أو الهندسة أو إدارة الأعمال، وفي حقل القضاء أو التربية أو الفن، لا مناص لنا من القراءة الحرة، ومتابعة المستجدات على الساحة الثقافية العريضة، في المجلات والكتب المتخصصة، وإلا تجاوزنا الزمن، واتسعت الهوة التي تفصلنا عن الحضارة.

إن التطور في المعلومات والأبحاث يسير في سرعة مذهلة، ولقد أشار تقرير للأمم المتحدة إلى أن ((سرعة وتيرة تقادم المعلومات في عدد من فروع المعرفة، تجعل من واجب العلماء إعادة النظر في معلوماتهم في كل وقت)) (يونيسيف ١٩٧٢ ص٢٥).

وتكونت في علم التربية وجهة نظر تؤكد الحاجة المتزايدة؛ ليس إلى إضافة المعلومات الجديدة إلى معلوماتنا السابقة، بل إلى التجدد واقتناء معارف جديدة بدلاً عنها. وأكَّد ف.س. كريدينكو أنه: ((يتطلب من المتخصص المعاصر أن يضع في حسبانه دائماً أن ما يعادل ١٠-٢٠% من المعلومات التي بحوزته قد شاخت وعليه أن يغيرها)). ويرى جورنيكو أنه: ((يجب أن تحذف وتستبدل في المنهج التعليمي المعلومات التي كانت حيوية قبل عشر سنوات)).

وتبارى الباحثون في تخفيض متوسط مدد تقادم العلوم، نظراً لسرعة التطور، واتفقوا على أن أعراض الشيخوخة تعتري المعلومات بنسبة ١٠% في اليوم بالنسبة إلى الجرائد، وفي الشهر بالنسبة إلى المجلات، وفي السنة بالنسبة إلى الكتب، وطبقاً لهذه الأرقام فإن الشيخوخة تعتري نصف الأفكار المنشورة خلال نصف عام، وأنه يمكن إرسالها إلى محل الأوراق التالفة عموماً بعد عام من صدورها.

و لم يعد من المستهجن القول: ((إن بعض المعلومات تصاب بالشيخوخة وتفقد قيمتها في لحظة خروجها من المطبعة إلى النور، وقبل أن تصل إلى أيدي القراء)).

وهكذا اقتضى ارتفاع وتيرة تسارع المعلومات ضرورة اختصار مدة الاحتفاظ بها، وإخراج ما أدركته الشيخوخة والهرم منها من مجال الاستخدام النشط في المكتبات العامة، وحتى من ذاكرة المتخصصين.

أفلا يحدونا ذلك إلى أن نكون على درجة عالية من النهم إلى القراءة، ومن اليقظة والحذر فيما نقرؤه، فلا نضيع أوقاتنا في قراءة ما لا طائل وراءه، وفيما فات أوانه، حتى لا نفقد التماس مع تطور المفاهيم وتقدم العلوم، وحتى لا يفوتنا ركب الحضارة، ولا تتسع الهوة التي تفصلنا عنها.

#رقم؟فصل#القراءة خارج نطاق التخصص

قد يحلو لك أن تخرج في قراءتك خارج نطاق تخصصك؛ ترويحاً عن نفسك من تعب القراءة الجادة، أو توسيعاً لثقافتك حتى تستطيع التكيف مع مجتمعك، أو استجابة لأشواقك الدينية، وتلبية لحاجاتك الروحية..

فها أنت تمسك قصة، أراك أقبلت عليها حتى نسيت كل شيء من حولك، ونسيت مواعيد أنت مرتبط بها.. ما الذي يشدك إليها؟ هل يلعب القاص بعواطفك؟ أم يَحبُك لك العُقَد ويشوِّقك إلى معرفة حلولها ونتائجها، أم يفجؤك بمواقف غريبة، ويسوق إليك من الطرائف والغرائب ما يجذبك إليها؟ لا ألومك فمن منا لا يحب القصص، وقد نما فينا حبها منذ نعومة أظفارنا.. نتحلق حول الجدة ننصت إليها، ونستزيد من حكاياتها؟! ويتحلق أطفالنا حول التلفزيون يجذب انتباههم ويلفت أنظارهم بما يقدمه لهم من برامج وأفلام كرتونية.

وحيناً تمسك ديوان شعر، يحلق بك في آفاق بعيدة، ويسمو بك فوق أرض الواقع، ويسبح بك في عالم الخيال، ويهزك جرسه الموسيقي، وأسلوبه اللغوي، فتستغرق فيه، ولا غرو فإن من الشعر لحكمة.

وتارة تقبل على قراءة في كتب التاريخ تستخلص منها العبر، وفي سير العلماء وتراجم الأعلام، تستمع بأخبارهم، وتستنبط منها مثلك العليا.

وأخرى تنتقل بين معجم ودليل، ودائرة معارف، وموسوعة، تبحث عن موضوع يشغل بالك، أو تقلب صفحات مجلة، بحثاً عن مقال يسترعي انتباهك، وقبل أن تلقي بها جانباً يقع بصرك على مقالٍ يشوقك فتقبل عليه كمن وجد ضالته.

ولكن.. أجبني بصراحة! هل الذي يستهويك في قراءاتك البساطة والسهولة؟ وهل أنت من هواة القصص الرومانسية التي لا ترقي موضوعاتها فوق دغدغة العواطف؟ الواقع أن كثيراً من القراء لا يرون للقراءة هدفاً وراء تزجية وقت ميت، أو دفع سآمة عارضة، أو جلب نوم بعد سهاد، مما حدا ببعض الناشرين إلى استغلال هذه الظاهرة لتقديم كتب هابطة، ومعلومات مبتذلة عن غرائب العالم، وعجائب الدنيا، وعن الألغاز والسحر والشعوذة والجريمة. ومن المؤسف أن نشر مثل هذه الكتب يشكل استثماراً ناجحاً، بينما الأعمال الجادة والكتابات المؤصلة، لا تلقى ما تستحقه من الاهتمام، ونشرها يعتبر مشروعاً مثبطاً، يؤدي إلى الخسارة.

إن القراءة هي غذاء الفكر، ومثل القارئ الذي يفضل الكتب السهلة، والقراءة الخفيفة كمن يختار لغذائه المقبلات والمأكولات الخفيفة، التي لا تقيم له أوداً، ولا تبني جسداً.

#عنوان؟جانبي؟أول#ولمواجهة تحديات العصر

العالم من حولنا يمور بالأفكار، يحذف منها بقدر ما يبدع فيها كل يوم، وهذه الأفكار هي سرُّ نجاحه الحضاري وتفوقه التكنولوجي؛ فواقع الإنسان إنما هو فرع من تصوره، وإذا كنا قد استطعنا فكَّ بعض رموز التكنولوجيا بتعلم الفيزياء والكيمياء والرياضيات والإلكترونيات، فإننا لم نستطع بعد فكَّ رموز الإيديولوجيا التي ترتكز عليها هذه العلوم، لقد تعلمنا التكنولوجيا بمعزل عن محيطها الاجتماعي والسياسي، وحاولنا تطبيقها ضمن نسق اجتماعي وسياسي وثقافي مختلف، فلم يحالفنا النجاح، بل آل بنا إلى مزيد من التبعية والتخلف والاغتراب؛ ذلك أن استيراد منتجات الحضارة وتكديسها لا يولد حضارة، فهذه المنتجات لا يمكن أن تطيع غير صانعيها، ولا تعمل بفعالية إلا ضمن مناخها الفكري والأرضية الثقافية التي نبتت فيها.

لذلك كله فإن أبناءنا الذين أوفدناهم إلى الغرب منذ مطلع القرن لتحصيل العلوم والتكنولوجيا، لم نستطع أن نستوعبهم، و لم يستطيعوا أن يطبقوا معلوماتهم منفصلة عن البيئة الثقافية التي نشأت فيها، فعاد معظمهم للعمل في خدمة الحضارة التي علمته، وخسرنا عن طريق الهجرة العلمية، زهرة شبابنا وعقولنا المفكرة.

وها نحن نواجه اليوم ما يسمى بـــ(النظام الدولي الجديد)، والذي يدعي مهندسوه أنه سيكون النظام الأمثل للبشرية، وأن التاريخ قد انتهى إليه بعد أن خمد أوار الحرب الباردة، بانتصار إيديولوجية غربية عنا على إيديولوجية أخرى غريبة عنا أيضاً. وإن سدنة هذا النظام الذين أخذوا على عاتقهم إدارته، قد تربعوا منفردين على عرشه، مطمئنين إلى أن أبناء الحضارات العريقة في الشرق، ما زالوا يغطون في سباتهم العميق، ولسوف يضربون على آذانهم بأنواع من الرقى والشعوذات الفكرية والإعلامية، حتى يستمروا في سباتهم، ولسوف يبذلون جهودهم في إخفات كل ضجيج، وإيقاف أي ناقوس، وإلجام كل حركة يمكن أن تبعثهم من رقادهم، وتوقظهم من نومهم. وتنهضهم لاستعادة دورهم الحضاري.

وإذا كنا قد استطعنا أن نُمدَّ مجتمعاتنا بشباب مؤهل علمياً ومهنياً للقيام بدوره في مختلف التخصصات المهنية، وزودناها بالطبيب والمهندس والإداري والمحاسب والفني والمعلم الأكفياء، فهل نحن مطمئنون إلى مستوى وفعالية ثقافتهم الإنسانية، وقدرتهم على مواجهة التحديات الفكرية الإقليمية والدولية المعاصرة؟ إن هذا السؤال مطروح على مستوى العالم كله، ويمثل هاجساً تربوياً دولياً للمؤسسات الدولية المعنية، وفي طليعتها اليونيسكو، ومن باب أولى أن يشكل هاجساً تربوياً لنا.

لقد تأخرت العلوم الإنسانية القادرة على صياغة (الإنسان) ((ولو قدر لأسلافنا أن يبعثوا إلى الحياة، فإن دهشتهم ستكون كبيرة من أن نظام القيم قد انقلب رأساً على عقب، وأن مركز الرؤية التي انطلقوا منها قد صار لدينا هامشياً، وأن العلوم التي كانت في الدرجة الثانية عندهم، قد أصبحت محور اهتمامنا، وأن علم الحكمة الخالد قد تضاءل لدينا حتى كاد ينعدم)) (غارودي: ما يعد به الإسلام ص١٤٤).

إن على شبابنا أن يسائلون أنفسهم – في ظل (النظام الدولي الجديد) الذي استأثرت فيه أقلية لا تتجاوز نسبتها ٢٠% من سكان العالم (حسب إحصاءات اليونيسكو)، احتكرت المعرفة والتكنولوجيا، فيه تبذل جهدها من أجل الحفاظ على امتيازاتها تجاه أكثرية فقيرة محرومة – هل هم على بصيرة من المبادئ والأفكار والمناهج التي تحيط بهم، وهل فهموا مرتكزات النظام الجديد؟ وهل فكروا بالوسائل التي تمكنهم من كسر احتكار المعرفة وفك قيود التبعية، واختراق حواجز الإعاقة، وفتح ثقوب في الجدار القائم في وجه الشروق، تتسرب من أشعة النور؟

وفي محيط أمتهم وحاضرهم وماضيهم ومستقبلهم، ومن أجل تأكيد هويتهم، وتحقيق ذاتهم، واستعادة شخصيتهم، هل يمكلون القدرة على استيعاب تراثهم، وإدراك واقعهم، كي يتمكنوا من تفكيك هذا التراث بموضوعية، مستخدمين وسائل المعرفة العصرية ومناهج البحث المتطورة، حتى يعيدوا تركيبه بما يصلح لجيلهم ومستقبلهم؟ وهل هم على علم بمكونات ثقافتهم من لغة وشعر وأدب وفلسفة وفقه وتاريخ وعلوم، حتى يضيفوا إليها ما ينميها من أجل أبنائهم وأحفادهم؟

وهل هم على معرفة بما يحرك العصر من علاقات متشابكة بين عوالم السياسية والاقتصاد والاجتماع، ومنجزات التكنولوجيا وأنظمة التواصل والإعلام والمعلومات؟

أم أنهم اكتفوا بما حصلوه من معلومات ترضي طموحهم وتتيح لهم نجاحاً ظاهرياً في نطاق تخصصهم المهني، ثم راحوا يعالجون مشكلات أمتهم بكثير من السطحية، والطفولية، والجهالة، فخاضوا غمار واقعهم المتأزم المتصارع المائج بالتيارات والعواصف والأحزان بلا وعي ولا معرفة، وانجرفوا – وغالباً عن إخلاص وحسن نية – في مستنقعات الطائفية والعرقية والإقليمية والشللية، ودخلوا في دوامة العنف والعنف المضاد، فأثلجوا صدور أعدائهم، ومنحوهم فرصة الاستمتاع بالتفرج عليهم، وهم يتقاتلون ويذبح بعضهم بعضاً، كما يستمتعون بمشاهدة صراع الديكة، أو مصارعة الثيران.

وهكذا تورد الإبل.. ولا هكذا تنعتق الأمم من إسار تخلفها وهوانها، وتنهض من كبوتها وعثارها.. إنما يكون الانعتاق والنهوض بتنكب طريق الشعوذة والخرافات والاتكالية إلى طريق العقل والمعرفة لسنن الكون وتغيير الأنفس والمجتمعات.. بالكفِّ عن إعمال اليد كالأطفال والإقبال على إعمال الفكر والرأي شأن الرجال من المصلحين والأنبياء.. بالتحرر من عقدة العنف واللعب بالنار.. بالخروج من عالم الأشياء والأوثان، والدخول بجدية وحزم إلى (عالم الأفكار).

#رقم؟فصل#في عالم الأفكار

ستقول لي: عالم الأفكار رحب فسيح ومتجدد، فإذا ولجتُه فماذا أقرأ؟

وأبادرإلى القول: اقرأ ما تشاء؛ فأنا أومن بحرية القراءة، وحرية الاختيار، وأمقت كل أشكال الوصاية والحجر والرقابة على الأفكار، وأرى في فرض القيود على القراءة سدّاً يحول بين الإنسان والإبداع، وحاجزاً يعوقه عن التقدم، ويحرمه من الاطلاع على تجارب الآخرين، ويحدُّ من إمكاناته للتغيير والتطوير والاجتهاد وتجاوز الخطأ. بل إني لأشعر بأن أنظمة المنع والقمع والأحادية الفكرية مناقضة للفطرة الإنسانية، لا تلبث هذه الفطرة أن تتغلب عليها، مثل سيل عرم تتجمع مياهه خلف سد، تبحث عن ثقوب ومنافذ لها عبرة لإفراغ طاقتها، فإن لم تجد فإما أن تعلوه وتتابع مسيرتها، وإما أن تجرفه بثقلها فتدكه دكّاً، وتمضي في سبيلها.

إن تحديد وجهة النظر، وحجب البصر عن الالتفات إلى يمين أو شمال، وتقييد الرؤية من أجل توجيه المسار، أساليب اخترعها الإنسان من أجل استغلال الأمثل للطاقة الحيوانية التي سخرها الله له، و لم يدر في خلده أن يكون هو ذات يوم أسير هذه القيود. ولئن استطاع الإنسان أن يقيد بصر البغال والحمير، ويضع الحجب على حافتي أوجهها، كي يضمن سيرها في الاتجاه الذي يريد، وأن يعصب عيني الجمل حتى لا يزيغ بصره وهو يدور حول معصرة الزيتون، إنه لن يستطيع أن يطبق النظام ذاته على أخيه

الإنسان مهما حاول أن يسترقه ويستبعده.. ولئن نجح في ذلك، إنما ينجح إلى حين، ولسوف يتمرد الإنسان على قيوده ليحطمها وينطلق حرّاً كما خلقه الله.

ولئن زودته فطرته بحب الاطلاع، والرغبة في ممارسة الممنوع، توقاً إلى معرفة سره واستجلاء حقيقته، حتى غدا المنع، وكأنه تحدٍّ لفطرته يحفزه إلى تجاوزه... ولئن ضرب لذلك التحدي مثلاً اختزنه في ذاكرة الأجيال منذ آدم: (كل ممنوع مرغوب).. إن التقنيات الحديثة قد زودته بكل الأدوات اللازمة للحصول على مبتغاه، حتى غدا المنع ضرباً من المستحيل.

#عنوان؟جانبي؟أول#الوصاية على الأفكار

إن جميع أشكال الوصاية والحجر الفكري، سواء منها الآبائية أو الدينية أو السياسية، إن هي إلا نوع من الاسترخاء الفكري، ومهما كانت دوافع هذه الوصاية نبيلة.. وإنها في معظم الأحيان لكذلك، فإنها سوف تؤدي بالمجتمع الذي يمارسها إلى التخلف والجمود.

فالوصاية على الأفكار غالباً ما تنطلق من الخوف على ثقافة الأجيال؛ فهي تريد أن تقدم لهم النافع من الأفكار والعلوم، وتحرص على أوقاتهم أن تضيع في الاطِّلاع على الأفكار الميتة التي فات أوانها، أو الخاطئة التي ثبت إخفاقها، أو المضللة التي تصرفهم عن الصواب، أو الزائغة التي تقحمهم في المتاهات، أو الرخيصة التي تثير غرائزهم الهابطة. ولكن أنى للأجيال أن تتعرف على الحق إذا لم تعرف الباطل، وأن تعرف الصواب إذا لم تعرف الخطأ؟! ثم من ذا الذي يستطيع أن يدعي امتلاكه للحقيقة واحتكاره لها؟! ألم يكن الجيل الذي حاكم (غاليله) لقوله بدوران الأرض حول الشمس، يعتقد أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور حولها؟ ألم يكن دوران الشمس حول الأرض هو الحقيقة الثابتة لدى كل الأجيال التي سبقت غاليله، وكان غاليله يملخ في الباطل والغواية في نظرها؟! فهل الحقيقة هي التي تغيرت؟ أم الفكر الإنساني هو الذي تغير؟! الأرض كانت وما تزال تدور قبل غاليله وبعده، وما يزال الإنسان يوالي كشوفه العلمية ليصحح أو يضيف إلى مفاهيمه عن الحقيقة مفاهيم جديدة.

الحرية هي المناخ الملائم لنمو الأفكار وتطورها، والحجر الفكري لا يستطيع أن يؤخر هذا النمو إلا إلى حين.

إن الاسترخاء الفكري، الذي ينجم غالباً عن الاطمئنان إلى صحة وسلامة محصولنا الثقافي، في أي موقع كنا، والذي يدفعنا إلى فرض وصايتنا الفكرية على الأجيال، وحملها على الاكتفاء بثقافتنا ومفاهيمنا على أنها هي الحق الذي لا مرية فيه. ولا حق غيره، سوف يؤدي بهذه الأجيال إلى الجمود والتخلف. فالثقافة التي لا تتجدد، تشيخ ثم تموت ويتخطاها الزمن... ولاشيء يولِّد الأفكار ويصقلها وينميها مثل الحوار، والاطِّلاع على الرأي الآخر، واحترامه، ومجادلته بالتي هي أحسن.

وسواءً أكان الجيل الذي يعاني أزمة وصاية فكرية، ينعم في ظل حضارة نامية، أو يرزح تحت عبء تخلفه الحضاري، فإن عليه أن يكسر طوق هذه الوصاية، وأن يبحث عن سبل خلاصه من تخلفه أو وقايته من السقوط في حمأة التخلف، خارج نطاق الفكر المسموح به، ذلك أن هذا الفكر المسموح به لو كان يملك سبل وقايته أو خلاصه لما تركه في هذه الحال.. وإنما وصل إلى الحال التي هو عليها في ظل هذا الفكر و#>إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ@>{١٣/١٢:١١-٢١]<pt> {الرعد: ١١/١٣<pn>].

#رقم؟فصل#طوق النجاة في خضمِّ الأفكار

لقد تضخم إنتاج المطابع وأصبح يواجهنا بسيل جارف من الكتب يتزايد كل يوم، ويغرينا بأغلفته البراقة، وعناوينه الكبيرة، دون أن ندري ما تنطوي عليه في داخلها من معلومات وأفكار، فكيف نميز الغث من السمين؟ والضار من النافع؟ وهل تكتسب الكلمة مرتبة الصدق والصحة من مجرد أن تطبع في مجلة أو كتاب؟ أليس في بعض الكتب من التفاهة ما يجعل اقتناءه مضيعة للمال، وقراءته مضيعة للوقت؟ ألا نرى عالم الأفكار يزخر بأساليب الغزو الفكري، والتضليل الإعلامي، والتلوث الثقافي؟! فهل يكفي أن نحمل إنساناً إلى مفترق طرق متشعبة، ونترك له أن يختار دربه، دون خريطة تدله على وجهته؟ أو نقذف به في بحرٍ لجيٍّ دون أن نزوده ببوصلة تحدد له اتجاهه، وبطوق نجاة يحميه من الغرق بين الأمواج المتلاطمة؟

إن لدينا الرغبة في القراءة، فهلا وفرت علينا عناء البحث والتنقيب، وأرشدتنا إلى ما يجب أن نقرأه، وما ينبغي أن نغض الطرف عنه؟

رويدك أخي القارئ، لقد أغرقتني بسيل من أسئلتك، وأوقعتني في حيرة، كيف أجيب، وبماذا أبدأ؟ فأن أستميحك عذراً في إعادة ترتيب أفكاري.

#عنوان؟جانبي؟أول#تعريف لا وصاية

في كل بلد ينشد التقدم، توجد مراصد فكرية، تعرف بالجديد من الكتب، في موضوعية، وتترك للقارئ أن يختار ما يقرأ، دون أن تفرض وصايتها عليه، ففضلاً عن البرامج الثابتة في الإذاعات ومحطات التلفزة والأبواب المخصصة في الصحف والمجلات للتعريف بالكتاب، توجد مجلات متخصصة تقوم بهذا الدور. ويقوم النقاد بدور هام جداً في توضيح مزايا بعض الكتب، أو كشف عوارها، وربما يحتدم النقاش بين مؤيد ومعارض، مما يلفت النظر إلى الكتاب موضوع النقاش، ويدفع القراء لمتابعة المعارك الأدبية أو الفكرية الدائرة بصدده، وهي ظاهرة طيبة، إن لم تشبها شائبة التحيز أو الابتزاز من قبل نقاد محترفين.

وفي دور الكتب العامة، وشبه العامة، كما في بعض مكتبات البيع، أدلاء ومرشدون متخصصون تسعدهم الإجابة على أسئلة القراء.

كما يمكن أن يقوم بهذه المهمة زميل في العمل، أو صديق اطَّلع على كتاب أعجبه فهو يستحث أصدقاءه على قراءته، رغبة منه في أن يشاركوه رأيه وإعجابه، فالمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. والقارئ البصير يقوم بدور العسس، أعني حراس الليل، فإذا ما وقع على فكرة مضيئة في جنح الظلام، فإنه لا يهدأ له بال حتى يعممها ويبلغها، ضنّاً بها أن تبقى في طي الكتمان #>وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ@>{٢/٢٨٣:٢٨٣]<pt> {البقرة: ٢/٢٨٣<pn>[.

#رقم؟فصل#المناعة وحدها تحصن القارئ من التلوث

لكننا لا نملك مثل هذه المراصد، والعقل عندنا لا يرقى إلى مستوى المعدة، ومن ثمَّ فإن الكتاب عندنا لا يرقى إلى مستوى الرغيف، وغذاء الأفكار لا يلقى من الاهتمام معشار ما يلقاه غذاء البطون، وأفكارنا عن الكون والحياة والإنسان محشوة بالخرافات والأوهام، وثقافتنا تعاني عقدة انفصام بين أفكار ميتة محنطة، لازالت تحتفظ بحق الصدارة، رغم عجزها عن فهم الواقع، وأفكار قاتلة، حملت جواز المرور لتأخذ مكانتها المرموقة عندنا، رغم غربتها وعجزها عن التكيف، #>كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ@>{١٤/٤:٢٦-١٣]<pt> {إبراهيم: ١٤/٢٦<pn>[. ومناخنا الفكري لا يزال ملوثاً بأنواع من الجراثيم (الإيديولوجية) التي تفتك بعقولنا، دون أن يتاح لها من يكشف عنها اللثام، كما فعل باستور حين خلص البشرية من أذى الجراثيم (البيولوجية).

إن غياب المراصد الفكرية والوعي الثقافي لا يعرضنا إلى خطر التلوث واستنشاق الجراثيم الفكرية فحسب، بل يجعلنا في مواجهة التضليل الثقافي الذي يزين لنا الميت والقاتل من الأفكار، ويشوه لنا الحيوي والفعال منها، كي نظل سادرين في الغفلة والعمى، مغرقين في التبعية والكلالة.

فلابدَّ لنا إزاء هذه الجراثيم من تكوين وتنمية جهاز المناعة الفكرية لدى قرائنا، وهذا الجهاز لا يتكون ولا ينمو إلا في جو القراءة الحرة، وتنمية عادة القراءة، فالقراءة نفسها هي الخريطة والبوصلة وهي طوق النجاة، وليس شيء مثل القراءة، يعلم التجاوز ويصحح الخطأ، فالقراءة تصحح أخطاءها، وتراجع نفسها، فتحذف ما فات أوانه، فلا تحمله آصاراً وأغلالاً، وتلفظ ما لا جدوى فيه ولا طائل تحته، فلا تضيع فيه وقتاً ولا جهداً.

(الوعي القرائي) هو جهاز المناعة الذي يحصن فكر المجتمع، وينفي أجواءه الثقافية من الجراثيم، تقوم جرعاته الأولى بدور اللقاح، حتى إذا ما تمثله وتفاعل معه، تحصن ضده، فلا تعود هذه الجراثيم الفكرية قادرة على إصابته والإضرار به، وأصبح قادراً على رفض الغثاثة والتزييف والتضليل والتكرار والاجترار، وكل الظواهر الثقافية المرضية.

والنهم الواعي للقراءة، يشكل المصفاة الأخيرة في عمليات تنقية الثقافة من شوائبها، ففي غياب الوعي القرائي، كما هي الحالة الراهنة للكتاب، يعتبر الكتاب الجاد والمتخصص مشروعاً مثبطاً، يشكل عبئاً

على المؤلف والناشر معاً. أما الكتب السهلة، وكتب الثقافة الميتة، وكتب نشر الأمية من أمثال تفسير الأحلام، وغرائب العالم، وشمس المعارف، ومجريات الديربي، فإنها تشكل إغراءً شديداً لتجار التخلف الثقافي من الناشرين الذين تحركهم شهوة الكسب، والربح الرخيص، دون أي التزام بشرف مهنتهم، ولا إحساس بالرسالة الثقافية التي يجب أن يضطلعوا بها.

ووعي القارئ وحده، هو القادر على إبطال هذا الإغراء، بإعراضه عن الغثاثة والتفاهة، حتى يكسد سوقها، وإقباله على النافع المفيد، وترويجه له، وشيئاً فشيئاً يتكون لدى القارئ (ذوق ثقافي) قادر على التحكم بنوعية ما ينشر، وفرض هذا الذوق على الأطراف الأخرى في صناعة الكتاب من مؤلف وناشر.

#رقم؟فصل#مسؤولية الناشر وشرف المهنة

إن إنتاج ما يستهوي الناس ويجذبهم إلى القراءة النافعة، ويلبي حاجاتهم الثقافية، هو الهدف الأساسي لمهنة النشر، وللناشر (الجاد والملتزم) دور أساسي في مشروع إنتاج الكتاب؛ يختار ويخطط وينظم ويراجع ويُخرج حسب قواعد وضوابط محددة، تكفل إنتاج الكتاب وإيصاله إلى القارئ بأفضل الشروط والأوصاف التي تيسر قراءته والانتفاع به. أما التاجر الذي يتصيد مخطوطاته المبتذلة دون أي إحساس بالمسؤولية، ويدفع بها إلى الأسواق دون تقييم ولا ترميم، فلا يستحق اسم (الناشر).

ومن الضروري أن تقوم بين الناشرين رابطة تشعرهم بمسؤوليتهم الكبرى، وتنمي لديهم الإحساس بشرف المهنة، وتسهر على رفع مستواها، وتضع لها الضوابط والقواعد التي تمنعها أن تنزلق في متاهات التلوث والتضليل، أو السهولة والعفن، وبذلك يمكن أن يمثل الشرف المهني للناشر رقابة ذاتية تحاسبه على ما ينشر، مثلما يترك الطبيب لشرفه المهني الذي يدفعه إلى العناية بمريضه، واتخاذ أفضل السبل وأنجع الأدوية لعلاجه.

وعلى رابطة الناشرين أن تكون بالمرصاد لتأخذ على يد الناشر المسيء، وتمنعه من الهبوط بثقافة الأمة.

كما يلعب الكتّاب والنُّقاد الأحرار دورهم في رصد حركة الأفكار، والتصدي لانحرافاتها.

وبذلك تتكامل أجهزة الرصد الفكري، وتتعاون على تنقية المناخ الثقافي، وتقف سداً منيعاً في وجه كل أشكال الغزو الفكري والتلوث والتزييف، ويبقى وعي القارئ هو الأساس، يوجه حركة الأفكار بإقباله عليها أو رفضه لها، مثل نظام السوق الذي يحرك السلع والأسعار حسب قانون العرض والطلب، بيد أن ارتفاع مستوى الأفكار أو هبوطه مرتبط بدرجة وعي القارئ وسموه.

#رقم؟باب#كيف؟

#رقم؟فصل#القراءة والقرّاء

يتفاوت الناس في درجة إقبالهم على القراءة أولاً، وفي انتفاعهم من قراءاتهم ثانياً، فهنالك:

#عنوان؟جانبي؟أول#١- العاجزون عن القراءة

بسبب أُميَّتهم، وهم يشكلون شريحة واسعة من عالمنا العربي، آخذة بالتناقص بفضل قوانين التعليم الإلزامي من جهة، وجهود محو الأُمية وتعليم الكبار من جهة أخرى، وهؤلاء الأُميون لديهم من الشعور بالنقص، ما يدفهم إلى التعويض؛ إما بتحصيل مهارات ذهنية وإدارية تمكنهم من استخدام المتعلمين لتحقيق طموحاتهم، أو بالإقبال على تعلُّم القراءة، وتحصيل ما فاتهم من العلم.

ورغم أن لدى هؤلاء الأُميين من الدوافع ما يحفزهم للتخلص من عقدة نقصهم وعجزهم، وأن مآلهم، إن عاجلاً أو آجلاً، إلى الانقراض، بسبب طبيعة العصر، وبرامج التعليم الإلزامي ومحو الأُمية، فإن كثيرين ممن تحرروا من الأُمية يعودون إلى التردي في حمأتها لأنهم لم يجدوا حولهم ما يثير اهتمامهم من المطالعات المتصلة بحاجاتهم النوعية، أو اختصاصاتهم المهنية، أو همومهم اليومية.

وقد تنبهت بعض الدول إلى هذه الظاهرة فأعدت برامج خاصة لمعالجتها، سهرت المؤسسات الحكومية على تنفيذها بالتعاون مع دور النشر والمشرفين على شؤون الثقافة، ومن أهم هذه البرامج: برنامج (موبرال) الذي طبق في البرازيل، والبرنامج التتراني الذي استهدف تأمين مادة للمطالعة لما يناهز خمسة ملايين شخص حصلوا على تعليم أولي عام ١٩٨٠ بفضل برامج محو الأُمية.

وجميع هذه البرامج أخذت بالاعتبار أن جمهورها يتميز بتعليم شكلي مقتضب، وأفق ثقافي محدود، وقدرة شرائية ضعيفة، وأن هدفها هو تنمية ملكات الأفراد، واستثارة مشاعرهم، والارتقاء بمؤهلاتهم المهنية، وإيقاظ شعور الثقة بالذات لديهم، وقد استخدمت لتحقيق هذا الهدف كل وسائل الثقافة والإعلام المسموعة والمرئية، والمسرح، والسينما.

وعلى المستوى التطبيقي أقامت منشآت ثقافية ثابتة (مراكز ثقافية)، ووحدات ثقافية متحركة مزودة بمكتبة متنقلة، وجهاز للتليفزيون، وفيديو، وتجهيزات لالتقاط وبثِّ الصوت، وآلة عرض سينمائية، مما يتيح لها عرض جميع ضروب الفن والثقافة المتوافرة. كما أقامت المعارض الثقافية، في مختلف المدن، وعلى مدار السنة.

#عنوان؟جانبي؟أول#٢- القارئ الصدئ

وهو غني عن التعريف؛ إنه الذي يحسن القراءة لكنه لا يقرأ، متعللاً بأعذار كثيرة لتبرير إحجامه عن القراءة؛ فهو تارة يشكو كثرة العمل وضيق الوقت، وأخرى يتعلل بضعف البصر، وينحي باللائمة على برامج التليفزيون التي شدته إليها فحرمته من متعة القراءة..

تعلات واهية، يكشف زيفها وجود نخبة من القراء الناضجين، يعمل أحدهم في تخصصه المهني الذي يستغرق جلَّ وقته اليومي، ويقوم بواجباته وتنمية علاقاته الاجتماعية على خير وجه، ويقضي مع الإذاعة والتلفزيون بعض الوقت، ويخصص لأسرته وقتاً كافياً، وينظم معهم رحلات ترفيهية، ويستمتع وإياهم

في أوقات فراغ مشتركة، ويقوم بنشاطات كثيرة، ومع ذلك فإنه يجد متسعاً من الوقت للقراءة والتأمل والنقد.. إنه مسيطر على وقته، ينظمه ويعطي كل ذي حق حقه.

ومعظم القراء الصدئين، يبدأ بالابتعاد عن القراءة والكتاب، عند مغادرته مقاعد الدرس، وحصوله على الشهادة الدراسية، بحجة السآمة بعد دراسة مضنية من جهة، وللتفرغ للبحث عن عمل، وترتيب حياته المهنية من جهة أخرى، فكأنه يمنح جهاز تفكيره إجازة مؤقتة، على أن يعود لعالم القراءة بعد قسط من الراحة والاستقرار في حياته العملية، ثم يستمرئ هذه الإجازة ويخلد إليها حتى يكسوَه الصدأ، ويعزله عن عالم القراءة والكتاب.

وبعضهم يبدأ عزوفه عن القراءة نتيجة إخفاقه الدراسي، فينقلب هائماً على وجهه مبغضاً للكتاب، يعزو إخفاقه إليه، ويبحث عن وجهة يحقق فيها ذاته، بعيداً عن عالم القراءة.

إن الحالتين كلتيهما، تشيران بأصبع الاتهام إلى نظامنا التربوي الذي يركز اهتمامه على الشهادة أكثر من الموهبة، وعلى الكم أكثر من الكيف، وإلى مناهجنا التربوية التي تقدم لنا المعلومات لنحشو بها أذهاننا قسراً، لا لنستمتع بها، ولنؤدي واجباً مفروضاً، لا لنمارس هواية مختارة، ننمي بها حب الاطلاع الذي فطرنا عليه، وتقدم لنا الكتاب بوصفه (شيئاً) لا بوصفه (نافذة) على عالم المعرفة.

ولسنا هنا بصدد معالجة أنظمتنا التربوية ومناهجنا، وإنما نحن بصدد معالجة مشكلة هذا (القارئ الصدئ)؛ هذا القارئ الذي يعتبر الشغل الشاغل لكل العاملين في مجال تنمية عادة القراءة، وتحسين أدائها، كيف نزيل عنه الصدأ الذي تراكم عليه، وعزله عن عالم القراءة.

ليتنا نملك عقاقير سحرية ما إن تمس جبين قارئ صدئ، حتى تبعثه على الفور قارئاً شغوفاً نهماً محبّاً للقراءة والكتاب.

لكننا – للأسف – لا نملك هذه العقاقير، فلنتابع رحلتنا مع أنواع القرّاء، ثم لننظر في مناهج التغيير وأساليب التقويم الكفيلة بمعالجة كل أسباب العزوف عن القراءة، وكل أنواع الخلل القرائي.

#عنوان؟جانبي؟أول#٣- قارئ الديكور

وهو الذي لفت نظره نموذج من تصميم لمترل أو مكتب تحتل فيه المكتبة ركناً بارزاً، يعطي الزائر انطباعاً بأن صاحبه مثقف مهتم بالثقافة والكتاب، فبعد أن يجهز هذا الركن بالرفوف اللازمة ويرضى عن تقاطيعها وجماليتها، ويبدأ بالبحث عن الكتب التي سيملأ بها هذه المكتبة، وأكثر ما يهمه تناسق ألوان كعوبها، ومقاييسها وأحجامها، وغالباً ما يصطحب معه مذكرة دوَّن فيها مقاييس الفراغات التي بقيت لديه في المكتبة، بعد الوجبة الأولى من الكتب التي نسقها على الرفوف، فهنا يحتاج إلى مسافة ٥٠سم بارتفاع ٣٠سم، وهناك لم يبق لديه متسع لأكثر من ١٥سم بارتفاع ٢٠سم، وهنا تبرز المشكلة، فهذه موسوعة علمية تضم ٢٥مجلداً تشغل مسافة ٧٥سم، استهواه لون غلافها الجميل، فهل يجتزئ منها ما

تتسع له الرفوف؟ أم يبحث عن أخرى أقل أجزاءً وأضيق مسافة، ويستعين بصاحب المكتبة ليحل له هذا الإشكال.. ليست صورة قارئ الديكور هذه، من نسج الخيال، بل هي واقع ينبئكم بأمثاله كل الذين مارسوا بيع الكتب، وإدارة المكتبات.

#عنوان؟جانبي؟أول#٤- القارئ المتعالم

وهو الذي لا يكتفي بالمظهر، وإعداد ركن ثقافي يجذب بجماله وتناسقه الأنظار، ويطري الزوارُ ذوق صاحبه الرفيع، وهم يحتسون القهوة بجواره، بل يتجاوز ذلك إلا الإدلاء بدلوه في سوق الثقافة، فهو يتحدث في مجالسها عن الكتاب الفلاني، ومؤلفه، ويعطي لمحة سريعة عن مضمونه، بل وينتقد تقصير المؤلف في إغفاله بعض جوانب الموضوع.. لقد أرشده صديقه إلى الطريقة التي تضمن له النجاح، فما عليه إلا أن يستوعب من كل كتاب مقدمته، وفهرس المحتويات، بالإضافة إلى حفظ العنوان واسم المؤلف، مما يوفر عليه عناء الدرس، والغوص في فصول الكتاب، والتوقف عند تعبير غامض، أو فكرة عويصة، أو مفهوم خاطئ.

وفي الحديث عن رسول الله (ص)، فيما رواه مسلم: ((إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه... رجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت بها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به، فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار)).

#عنوان؟جانبي؟أول#٥- المولع باقتناء الكتب

كتب صحفي يرسم صورة ساخرة لقارئ مولع بالتهام الكتب:

((إن الحياة دون كميات هائلة من الكتب المتناثرة في كل أرجاء المترل هي في نظر المولع بالتهام الكتب أشبه بنهار لا شمس فيه، وإذا مرَّ أسبوع دون أن يقتني فيه كتباً جديدة فإن يديه تأخذان بالارتعاش، والأمر بالنسبة إليه لا يتعلق بكتب قديمة نفدت نسخها، أو مخطوطات نادرة يحرص على اقتنائها محبو الظهور وهواة الشهرة، فما يلائمه هو النسخ العادية الموجودة على الرفوف في متاجر بيع الكتب، في متناول اليد، تنتظر من يحملها إلى البيت، إن نهمه إلى الكتب لا يعرف الحدود، ويتجاوز كل النجوم)).

وهذا، مع أن ولعه بالكتب لمجرد اقتنائها، وبعثرتها بانتظار فرصة لترتيبها، فإن أبناءه سوف يفيدون منها، حين يجدون بين أيديهم مكتبة غنية، مثل بستان يدعوهم ليقطفوا من كل شجرة زهرة، ولابدَّ أن تواتيه فرصة، أو يدفعه الخجل من أولاده وزواره ليبدأ بالقراءة ذات يوم.

#عنوان؟جانبي؟أول#٦- القارئ الناضج

إنه الهدف من كل الجهود المبذولة في تحسين القراءة، وإن لهذا القارئ سمات مميزة، وصفات، منها:

١- حماسته الصادقة للقراءة.

٢- معرفته لأساليب البحث والتنقيب في مصادر المعلومات، وكيف يرجع إلى المعاجم والحوليات، وإلى الموسوعات ودوائر المعارف وأمهات الكتب، ومعرفته لكيفية استعمال بطاقات المكتبات، كي يصل إلى مبتغاه بسهولة.

٣- تنويعه في المقروءات.

٤- امتلاكه لمهارات القراءة الميكانيكية والفيزيولوجية، من حيث إدراك الحروف والكلمات، والتعرُّف عليها، والنطقُ الصحيح بها؛ من غير حذف ولا إضافة، ولا إبدال، ولا تقديم، أو تأخير أو تكرار، الأداءُ السليمُ لها عند القراءة الجهرية بحيث توافق النغمة معنى الموقف المعبر عنه، والمراعاة لصحة الإيقاع، وعلامات الترقيم، وللسرعة المناسبة للموضوع وللمستمعين.

٥- امتلاكه للمهارات العقلية؛ من حيث ثروةُ المفردات وإدراكُ المعنى القريب والمعنى البعيد، وهدف الكاتب والمغزى الذي يرمي إليه، والعناصر التي ينقسم إليها الموضوع، والعلاقات المنطقية بين أجزائه، والأسلوب البلاغي للكاتب.

٦- مقدرته على استعمال كل المعلومات التي تساعده على فهم الأفكار المطروحة كما أرادها المؤلف، سواءً منها المدخرة لديه، أو المتوافرة في بطون الكتب والمراجع.

٧- مقدرته على صهر الأفكار الجديدة المكتسبة، مع الخبرة الماضية، مما يسمح برؤية الأشياء من زاوية جديدة.

٨- مقدرته على تكييف سرعة القراءة مع الحاجة والوقت المتاح ومتطلبات الفهم والإدراك.

#عنوان؟جانبي؟أول#٧- القارئ الناقد

وهو ثمرة القراءة الناضجة، التي توفر للقارئ ملكةً نقدية تؤهله للتمييز بين نقاط القوة والضعف، والكشف عن التحيز والادِّعاء، ولتمحيص الصحة والخطأ في الأفكار.

وينبغي للقارئ الناقد أن يكون قادراً على معرفة مقدار صحة النص، وهل يتطابق مع الواقع؟ وهل يعبر عنه؟ وهل ثمة ترابط بين عناصر الموضوع؟ وهل يتسم تبويبه بالمنهجية؟ أم تتخلله الثغرات والقفزات؟ وهل وفق الكاتب في عرض أفكاره؟ وما مدى إبداعه؟ وهل جاء بفكر جديد؟ أم كان يجتر أفكاره، أو يكرر أفكار الآخرين؟ وما مدى أمانته العلمية، وخاصة في الاقتباس ونقل النصوص؟

وخلاصة القول، فإن القراءة الناقدة تمثل في مقدرة القارئ على:

١- تحديد أهداف الكاتب، ومدى تحقيقه لها.

٢- فهم النص، وربط الفكر بعضها ببعض.

٣- تقويم المقروء، ومدى كفاية المعلومات وفائدتها، وصدقها وموضوعيتها.

٤- اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف في الأفكار بين الكاتب وغيره.

٥- الكشف عن تناقضات الكاتب ومبالغاته وادِّعاءاته.

#رقم؟فصل#التغيير

#عنوان؟جانبي؟أول#من العزوف إلى الولع

كيف نستطيع أن نخرج الناس من حالة العزوف عن القراءة، وإهمالها، والإعراض عنها، وإخراجها من دائرة الاهتمام، والنظر إليها بوصفها قتلاً للوقت، وإضاعة للمال، وإهداراً للجهد؟!

كيف نستطيع أن ننقلهم إلى حالة الرغبة في القراءة والولع بها، والإقبال عليها، والشعور بأهميتها، والنظر إليها بوصفها الحاجة العليا للإنسان، والمصدر الرئيسي للمعرفة؟!

يطالعنا الواقع بحالات انتقال فردية تمت بالمصادفة، نتيجة احتكاكٍ مفاجئ مع الكتاب لفت الانتباه إلى أهمية القراءة، وأثار الاهتمام بها، والإحساس العميق بفائدتها، حتى إن الفرد ليشعر باكتشاف الذات، والندم على الوقت الضائع الذي فات، والشغف غير المحدود بعالم الكتاب.. ربما تكون المصادفة قد ساقته إلى تناول كتاب من رفِّ مكتبة، أو منضدة صديق، أو في قاعة انتظار، فأخذ يقلِّب صفحاته، مثلما يتلهى بطقطقة حبات سبحته لدفع الملل، والتخفيف من وطأة وقت الانتظار، فإذا عينه تقع على فكرة تستهويه، فتكون شرارة البدء التي تقوده في رحلة طويلة إلى عالم القراءة الفسيح، وربما تكون هذه المصادفة بعفل إرشاد زميل، أو دعاية ناشر، أو محاضرة مؤلف، أو محاورة أديب.

هذا (إليتيك) يروي لنا ردود فعل (ويليام كوبيت)، وهو ابن مزارع رأى بالمصادفة، في واجهة إحدى المكتبات، وهو في الرابعة عشرة من عمره، كتاباً لفت نظره، وكان عنوانه (قصة إناء الغيسل الخشبي)، فدفع ثمنه ثلاثة بنسات، كانت كل ما يملك، وأسرع إلى أقرب كومة هشيم، فاستظل بها، واستغرق في قراءته.. إنه يصف شعوره فيما بعد: ((لقد كان شيئاً جديداً علي، لدرجة أنه رغم عجزي عن فهم بعض مقاطعه، فقد غمرني بحبور لا يوصف، وولد في نفسي نوعاً من تفتح الفكر، دفعني إلى مزيد من القراءة، وإلى الولع بها)).

وأيّاً ما كانت الطريقة التي نجم عنها هذا التحول، فإنها تظل حالات فردية نادرة، لا يمكن أن تغير مجمتعاً، ولا تبني ثقافة، ما لم تتضافر جهود كثيرة، تعمل بطريقة علمية منظمة، لدفع عجلة التغيير.

#عنوان؟جانبي؟أول#التفاوت في قبول التغيير

ليس الناس على درجة واحدة في قبولهم للتغيير، وتكيفهم مع الأفكار الجديدة، وسرعة التبديل لأنماط حياتهم، ومفارقتهم لما ألفوه في مجتمعهم من العادات، وما ورثوه عن آبائهم من التقاليد.

هنالك إحصاءٌ أُجري في إنكلترا، وتمَّ استخدامه لدراسة استعداد المزارعين لتبني أساليب زراعية جديدة، يبين لنا بوضوح تباين السرعة التي يتغير بها الناس، فقد صنف المزارعون الذين تناولتهم الدراسة إلى خمس زمر؛ حسب نسبة قبولهم للتغيير، وتبنيهم أو رفضهم للأفكار والأساليب الجديدة:

٠٢% طلائع التغيير الذين تبنوا الأساليب الجديدة، وغامروا بالإقدام على تجربتها.
١٣% باحثون عن الأفكار الجديدة، لديهم الرغبة بتبنيها، بعد التأكد من نجاح الآخرين في تجربتها.
٣٤% منفتحون على الأفكار الجديدة، لديهم الاستعداد لتقبلها، دون البحث عنها.
٣٠% مترددون أقل استعداداً لتقبل الأفكار الجديدة.
١٦% تقليديون مطمئنون إلى القديم المجرَّب.
٠٥% رافضون للتغيير.

وبالطبع فالمزارعون ليسوا وحدهم الذين يتفاوتون في سرعة مبادرتهم إلى تبني الأفكار الجديدة، فالأزياء، والتقنيات الصناعية، والمذاهب الفلسفية، والنظريات الاقتصادية، والحركات الاجتماعية، والآراء العلمية، والأفكار التربوية، والتعاليم الدينية.. كلها مجالات يتفاوت الناس في مدى تقبلهم للتجديد فيها.

وإذا كنا لا نملك إحصاءات مماثلة في عالمنا العربي، وفي مجال القراءة بالذات، فإن لنا أن نستأنس بإحصاءات الأمم الأخرى، ونستخلص منها النتائج والعبر، مع ملاحظة الفوارق الكبيرة التي يفرضها التفاوت في المستوى الحضاري، والتي تؤدي حتماً إلى تضاؤل نسبة المغامرين من طلائع التجديد، وتفاقم نسبة التقليديين والرافضين للتغيير.

ولاشك أن الهيئات التي تهتم بتحسين الممارسات في أيٍّ من هذه الحقول، تسارع إلى التعرف على هؤلاء المغامرين، ليكونوا عوناً لها على نشر الأفكار الجديدة بين الآخرين.

ولاشك – أيضاً – أن قلة عدد المجددين، وزيادة عدد التقليديين الرافضين للتغيير، لمما يؤكد صعوبة التغيير، وخاصة في مجال القراءة.

#عنوان؟جانبي؟أول#التفاوت في القابلية للتغيير

الطفولة هي أفضل مراحل العمر لتكوين عادة القراءة، بوصفها تتمتع بطاقة بكر، متطلعة إلى المعرفة، لم تتأثر بأي من الشوائب التي تدعوها للعزوف، و لم يكسها الصدأ الذي يمكن أن يعزلها عن أجواء الثقافة. فهي الأجدر بالاهتمام، وتوفير المناخ الملائم للتشجيع على القراءة، وغرس بذور محبة القراءة، والاعتياد عليها، وفي هذه المرحلة، تجدر العناية بالمادة المقروءة، من حيث سهولة الألفاظ، ووضوح معانيها، وعدم غرابتها. ومن حيث إتقان الطباعة، ووضوح الأحرف، وطول الأسطر. ومن حيث سهولة التراكيب، وملاءمة الموضوعات، وتوافر عنصر التشويق في الأسلوب، ومن حيث الاختيار، كي نجعل الكتاب بين أفضل لعبة المحببة إليه.

كما تجدر العناية بتعليم الأطفال العادات السليمة في القراءة، لأن اكتسابهم لأية عيوب قرائية في هذه المرحلة يجعل من الصعب تصحيحها في مراحل العمر القادمة. ومما يجب تعويدهم عليه، القراءة جملة

جملة، فالطريقة الجزئية تنطوي على عيب جوهري، كما يجب تعويد أعينهم على القيام بحركات سليمة منتظمة، تعينهم على التركيز وعدم التشتت.

وفترة الشباب كذلك، زاخرة بالإمكانات عند توافر الحوافز، ومن الضروري جداً الاهتمام بهذه المرحلة، وتوفير المناخ الثقافي الملائم، لمتابعة عادة القراءة بعد مغادرة مقاعد الدراسة، فأي إهمال أو تراخٍ في هذه المرحلة سوف يؤدي إلى ترك القراءة، وتراكم الصدأ على فكر وثقافة الشاب، حتى يتحول إلى قارئ صدئ.

أما في سن الشيخوخة، فمن الصعب أن يقبل المسنون على المطالعة، بعد أن هجروها في سن النضج، رغم ما توفره لهم الشيخوخة من أوقات الفراغ، بينما يستمر المسنون المولعون بالقراءة منذ شبابهم، ويستمتعون بما تتيحه لهم القراءة من تعويض عن الفراغ، وتواصل مع الأجيال، وإبعاد الشعور بالعزلة عنهم.

#عنوان؟جانبي؟أول#التفاوت في سرعة التغيير

إن التغيير في المواقف من القراءة، وفي عادات القراءة، تتفاوت إمكاناته وسرعته بحسب اختلاف الأفراد، كما تتفاوت بحسب اختلاف المجتمعات.

فلكل فرد ظروفه الشخصية، وحوافزه، وملكاته، وإمكاناته، ومشكلاته، فإذا توافرت الرغبة بالقراءة لدى الفرد، فإن عنصر الصلاحية والقدرة يعتبر عاملاً مهماً في سرعة تحقيق هذه الرغبة، فكما الطفل البطيء في عدوه، البليد في حركاته، لا يفكر بالانضمام إلى فريق كرة القدم، فكذلك البطيء في فهمه، المتبلد في ذهنه، سوف يصعب عليه الانخراط في سلك القارئين المجيدين، ومع ذلك فإن محاولته سوف تكون مقدرة في المجتمع، ومضاعفة الأجر عند الله، كما ورد في حديث الرسول (ص):

((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران)).

وفي كل الأحوال فإن الفرد جزء من مجتمع، ويخضع نشاطه، ورغبته في التغيير للفرص والمناخ والخدمات التي يقدمها له المجتمع، فإذا أتيح لهذا الفرد: نظام للتعليم وللقيم الثقافية يحفزه ويكافئه، ومراكز تزويد تيسر له الحصول على المطبوعات وتعاونه، وأسرة ترحب برؤيته منصرفاً للقراءة وتشجعه، وأصدقاء يحيطون به يحاورونه ويساعدونه، ونظام اقتصادي يدعم قراءته، فسوف يختزل الزمن لتحقيق رغبته.

وقد لا تتوافر له هذه الظروف المثالية، فيحتاج إلى زمن أطول، وجهد أكبر، فليبذل جهده، كي يعوض ما قصر به المجتمع من حقه عليه، فإن القراءة سوف تعطيه من السعادة، ومن رضا النفس، ومن التوازن والتكيف مع المجتمع، أضعاف ما بذل.

#عنوان؟جانبي؟أول#مراحل عملية التغيير

يمرُّ الأفراد – خلال عملية التغيير – بسلسلة من المراحل:

١- الوعي: وهو بداية التعرف على فكرة جديدة، أو منتج جديد، أو طريقة مبتكرة.
٢- الاهتمام: وهو البحث بنشاط عن مصادر لمعلومات غزيرة ومفصلة حول هذه الفكرة لتحديد مجالات الإفادة منها، وإمكانات تطبيقها.
٣- التقويم: تفحص المعلومات وغربلتها.
٤- التبني: وهو التمثل الكامل للفكرة.
إن تطبيق هذه المراحل في مجال القراءة يختلف بعض الاختلاف:
فالوعي (وهو التعرف على فكرة جديدة) يمكن أن يولد مصادفة، نتيجة استماع محاضرة، أو ندوة، أو محاكاة لنشاط أقران.
ويتلوه الاهتمام بقراءة موضوع معين، أو كتاب معين، أو مجلة بعينها.
وقد ينتج عن ذلك تقويم واعٍ أو غير واعٍ للفكرة الجديدة.
أما التبني: فإنه يتطلب عدداً كبيراً من التجارب الْمُرضية.
#رقم؟فصل#من أجل تكوين عادة القراءة
لقد رأينا الصعوبات الجمة التي تعترض سبيل التغيير، وتكتنف طريق إصلاح عيب العزوف عن القراءة، وإعادة القراء الصدئين إلى ميادين عالم القراءة من جديد.
فلماذا لا نبدأ بتكوين عادة القراءة منذ الطفولة، ونتعهدها بالرعاية والصيانة والحماية، حتى لا تعتل ولا يكسوها الصدأ؟ فننعم في ظلال المجتمع القارئ، وتعلو عندنا قيمة الفكر والكتاب، ويزخر مجتمعنا بالمناظرات الأدبية، والمحاورات الفكرية، والندوات العلمية، ويصبح الكتاب لدينا متداولاً غير مهمل، وتصبح أحاديث الناس في لقاءاتهم وسهراتهم وأوقات فراغهم وسمرهم؛ عن الأفكار الجديدة، والنظريات الجديدة، والكتب الجديدة، والقصائد الجديدة، ينشدها بعضهم لبعض، يحتدم النقاش حولها تارة، ويهدأ أخرى، مرتاحاً إلى روعة قصة لكاتب، ونصاعة فكرة لمؤلف، وحداثة نظرية لعالم، ورهافة أحاسيس قصيدة لشاعر.
كم هو رائع هذا المجتمع القارئ! أتخيله مجتمعاً موارا بالحركة والنمو والإبداع؛ يرصد حركة الأدب والفن والأفكار، يوجهها، يقوِّمها، ينِّميها، يصقلها، يرتفع عن الإسفاف والاجترار...
إنه يشجع أدباءه، مفكريه، علماءه، ويأخذ بيدهم إلى مزيد من العطاء، بل إنه لقادر على أن يبعثهم من الموت، وأن يخلقهم من العدم.
إنه التربة الخصبة الغنية القادرة على إنبات الأفكار.. إنه المناخ الصافي الملائم للنماء والإبداع.. إنني أعشقه.. أتوق إلى اسنشاق عبيره.. أرنو إلى تفيؤ ظلاله الوارفة.. أحلم بالعيش في جنانه.. كم يهزني منظر أبوين يصطحبان طفلهما إلى (مكتبة) ليختار منها (كتابه)! كم يستهويني مشهد شاب في حافلة

مكب على (كتاب) يلتهم صفحاته غير ملتفت إلى مغريات الطريق أو منفراته! كم يثير مشاعري ملتقى شباب يتبادلون أطراف الحديث حول فكرة قرأها أحدهم في (كتاب جديد)! كم أشعر بالسمو عندما أرى الشباب المثقف يترفع حتى في سمره ولهوه وترفيهه إلى مستوى الفن والأدب الرفيع.. لا أريد لهذه الصورة الحالمة أن تمتز بمشاهد هابطة من مجتمع عازف عن القراءة، يتحدث بلغة بطنه، وشهوة جسده، وأدوات لهوه، ووسائل عبثه، وسلع استهلاكه، فذاك قيعان مجدبة لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ، بل هو مقبرة لدفن الملكات، تغص بالأموات.

إن باستطاعة أي مجتمع أن يحول الحلم إلى حقيقة، وأن يكون (مجتمع القراءة)؛ إذا تضافرت جهود أبنائه ومؤسساته، وقام كل منها بدوره، وتعاونت على أداء واجبها الأول والكبير.

#عنوان؟جانبي؟أول#دور البيت في تكوين عادة القراءة

إن لجو الأسرة دوراً أساسياً في تهيئة الطفل لتعلم القراءة، وتعويده عليها، فإذا نشأ الطفل في جوٍّ لا يكترث بالقراءة، فلا أبوان يقرأان، ولا تقع عين الطفل في البيت على مجلة ولا كتاب، فكيف سيتعلم القراءة؟ وأنى له أن يحبها؟!

إن الأبوين القارئين يساعدان أولادهما على حبِّ القراءة، ويوفران لهم في مكتبة المترل السلاسل الملائمة لمراحل نموهم، ويوجهانهم للعناية بالكتاب، ويخلقان فيهم الرغبة في اقتنائه، ويشجعانهم على توفير جزء من مصروفاتهم لشرائه، ويناقشانهم في مقروءاتهم موجهَيْن وناصحَيْن وناقديْن، كي يعلماهم القراءة الناقدة.

#عنوان؟جانبي؟أول#دور المدرسة

وللمعلم دوره البارز في تشجيع الناشئة على القراءة، فهو المثال الحي والقدوة الصالحة لهم، يقتدون به في محبته للقراءة فهو يلفت نظرهم إلى المراجع التي تزيد من معارفهم، ويثير لديهم الرغبة في الاستزادة من البحث والتنقيب، ويعلِّمهم منهجيته التي تقوم على عدم التسليم بالرأي السائد قبل معرفة الرأي الآخر، ويحبب إليهم ارتياد المكتبات، والمطالعة فيها، ويعودهم على اختيار مقروءاتهم بأنفسهم، حتى يفتح أمامهم آفاق المعرفة.

وتلعب مكتبة المدرسة دوراً كبيراً يسهم في تنمية عادة القراءة لدى الناشئة.

#عنوان؟جانبي؟أول#دور المجتمع

وللمجتمع دوره الكبير الكبير

فنشاط المراكز الثقافية والمكتبات العامة، وأساليبها المشوقة لها أثر كبير في جذب القراء. وإذا كانت بعض المكتبات العامة تتبع أنظمة صارمة لا تغري القارئ بإطالة المكث فيها للتنقيب عن كنوزها، فإن هنالك قيمين ناجحين في مكتبات أخرى، يبذلون جهودهم لاجتذاب الشبان وإغرائهم بالمطالعة.

#عنوان؟جانبي؟أول#معارض الكتاب

من أساليب ترويج الكتب، وتشجيع الناس على القراءة، وتعويدهم على المطالعة إقامة معارض الكتاب، على المستوى المحلي أو الوطني أو الدولي.

ومن أبرز أهداف معارض الكتاب، بالإضافة إلى تعريف الجمهور بالجديد من الكتب، وتيسيره لهم، استدراج زوار ليسوا من رواد متاجر الكتب، و لم يعتادوا شراء الكتب وقراءتها بصورة منتظمة، من مختلف الأعمار، ومن سائر الشرائح الاجتماعية والمجموعات الاقتصادية.

ومن الأسماء التي أطلقت على بعض المعارض: حباً بالكتاب (في كندا)، مهرجان الكتاب (في سنغافورة)، أسبوع الكتاب (في أستراليا).

ومن الأساليب التي استخدمت في هذه المعارض:

١- تنظيم رحلات طلابية منتظمة تضم الطلاب والأساتذة.

٢- دعوة المؤسسات الثقافية والهيئات المعنية بالكتاب في جميع الإدارات والوزارات.

٣- خلق حدث يشد الانتباه إلى الكتاب والمؤلف والناشر.

٤- إصدار نشرة عن (عالم الكتاب) تشرح النشاطات الثقافية المختلفة، وتوزع بالمجان.

٥- توزيع شارة للمعرض على الزوار، تخول حاملها بعض الامتيازات، مثل المشاركة في: مباريات ثقافية، ومساجلات شعرية، ومسابقات لكتابة القصص، وللرسم.

٦- الإعلان في الصحف والإذاعة والتلفزيون.

٧- قيام شخص يرتدي زيّاً خاصاً لافتاً للنظر، بالتجوال في المدينة في سيارة مكشوفة، وهو يمثل دور (القارئ النهم) أو (ملتهم الكتب)، وذلك من أجل إثارة انتباه الجماهير، ودعوتها لزيارة المعرض، وبثّ روح الحياة والحركة فيه.

#عنوان؟جانبي؟أول#جهود أخرى لتنمية عادة القراءة

تتضافر جهود المربين والمهتمين بشؤون الثقافة، وتتنوع أساليبهم من أجل تنمية عادة القراءة لدى الأجيال الناشئة.

فمن ذلك إقامة حفلات أو أسواق، يقوم المؤلفون فيها بالتوقيع على نسخ الكتب المبيعة.

وتقديم التسهيلات لإيصال الكتاب إلى طالبه في المدن البعيدة والقرى النائية بوساطة البريد، أو المكتبات المتنقلة في سيارات تقوم برحلات منتظمة.

وبث مندوبي المبيعات لزيارة الناس في بيوتهم ومكاتبهم، وتقديم المشورة لهم من أجل تزويد مكتباتهم الخاصة بالكتب الجديدة وبالمراجع الهامة، وتقديم التسهيلا لهم لاقتنائها.

وإقامة المسابقات بين الأطفال لتشجيعهم على كتابة القصص، ومنح جوائز للقصص الفائزة ونشرها.

وتأسيس نوادي الكتب، ومنح المنتسبين إليها امتيازات وتسهيلات خاصة.

أما الصحافة والإذاعة والتلفزيون وكل وسائل الإعلام، فبإمكانها أن تلعب دوراً كبيراً في الحثِّ على القراءة، وذلك عن طريق التعريف بالكتاب، وعقد الندوات لمناقشته، وإقامة حوارات بين مفكرين يضيئون محاسن بعض الكتب، ويلمحون إلى سيئاتها وهناتها، فيحفزون الناس على مطالعتها، ويثيرون عندهم الرغبة في الاطِّلاع عليها. ومن الخطأ البيِّن أن نتهم وسائل الإعلام بأنها عدوة للمطالعة والكتاب، إذ يكفي أن نتأمل أرقام بيع رواية قام التلفزيون بعرضها لنرى مدى تأثير وسائل الإعلام الحافز على القراءة.

وللأقران المحبين للقراءة، الذين يحرصون على شراء الكتب، ويحثون أقرانهم على شرائها، ويتبادلونها بينهم، أثر كبير:

#شعر؟شطر؟أول#عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

#شعر؟شطر؟ثاني#فكل قرين بالمقارن يقتدي

#عنوان؟جانبي؟أول#تهادي الكتب

وثمة مسلك اجتماعي نتمنى لو ينمو ويزدهر، لأنه ينم عن حس حضاري رفيع، ذلكم هو إهداء الكتاب في المناسبات، فقد درج البعض في مناسبات الفرح على إهداء كتاب يختارونه، ويمهرونه بعبارة تخلد ذكرى المناسبة، وهذا شاب يعتزم عيادة صديق ألمَّ به مرض، فيعرض على مكتبة لانتقاء كتاب يحمله إلى صديقه ويضم إليه زنبقة يفوح طيبها فيدخل البهجة على هذا الصديق، وسرعان ما تذبل الزنبقة، ويبقى الكتاب نابضاً بالحياة مشرقاً بالفكر والنور. وتلك طفلة مدعوة إلى حفل تكريم صديقتها بمناسبة تفوقها في امتحانات نهاية عام دراسي، تختار لها مجموعة من القصص، تغلفها بغلاف مزخرف، وتقدمها لها مع قطعة من الحلوى، لكن سرعان ما تذوب الحلوى، وتبقى القصص بين يدي الصديقة تستمتع بقراءتها واحدة بعد أخرى، وتقصها على إخوتها وصديقاتها، فيشاركنها المتعة.

#رقم؟فصل#مهارات القراءة

#عنوان؟جانبي؟أول#حركات العينين

خلال مئة العام الماضية أصبحت آلية القراءة موضع دراسة منهجية، سمحت باستخلاص معلومات نوعية عن طبيعة عملية القراءة، وبتقديم إرشادات لتحسين عملية القراءة، وتسريعها، واختزال الوقت اللازم للاستفادة منها.

فالقراءة إنما تتم بحركات تقوم بها العينان؛ متقطعة أو على قفزات صغيرة، تفصل بينها وقفات قصيرة، وليس بحركة مستمرة تمسح الصفحة بكاملها، وعدد الكلمات التي يتم التعرف عليها أثناء الوقفة تبدو مرتبطة من ناحية بذكاء القارئ، وألفته للموضوع، والصعوبات التي يصادفها في التعرف على الكلمات

وتمثل الأفكار، ومن ناحية أخرى بالخصائص المادية للنص المقروء، وبتركيب الجمل ووضوح أسلوب الكاتب.

إن الحرص على سرعة القراءة يتطلب التقليل من وقفات العينين أثناء القراءة لكن الدراسات أثبتت أن هذه الوقفات تعكس إلى حد كبير ما يجري عندما يحلل العقل ما يراه البصر، فإذا حصل عجز أو غلط أو خطأ في التفسير، فإن العينين سرعان ما تعبران عن هذا الخلل، وتدفعان القارئ للعودة إلى النقطة التي سببت ارتباكه في النص.

لذلك فإن قدرة عين القارئ على القيام بحركات سليمة منتظمة، مرتبطة إلى حد كبير بسهولة المادة المقروءة، وتجنب الكاتب للتعقيد، والالتواء في الأسلوب، والإغراب في اللغة، وإنما تقاس بلاغة الكاتب بمقدار نجاحه في إيصال أفكاره إلى القارئ بلغة مبسطة دون إسفاف.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة الجهرية أم الصامتة

لقد أثبتت الدراسات أن عين القارئ الجهري تسبق صوته بما يتراوح بين أربع وست كلمات، ويدعى هذا الفرق بمدى العين والصوت أثناء القراءة، ومحصلة هذه الدراسة أن القراءة الجهرية أبطأ من القراءة الصامتة، حيث تضطر العين لانتظار اللسان ريثما يفرغ من النطق بالكلمات.

ولئن اتفق الدارسون على أن القراءة الصامتة هي الأسرع، إنّهم اختلفوا في أولويتهما، وبأيهما نبدأ؟ فالبعض يرى أن نبدأ بالتعود على القراءة بصوت عالٍ، لأن ذلك يعيننا على تقسيم الكلام حسب معناه في أدائنا الصوتي له، وفي هذا تعود على لمح المعنى بدقة وسرعة، فإذا ما تعودنا هذا النوع من القراءة بصوت عالٍ بقدر كافٍ، عدنا إلى القراءة المهموسة، ثم الصامتة التي تتيح لنا سرعة أكبر في القراءة، بعدما أتقنا السرعة في لمح المعنى عن طريق القراءة الجهرية.

والبعض الآخر من المربين يرى ضرورة البدء بتعويد أطفالنا على القراءة الصامتة المبنية على أساس من الفهم، متقرن بحركات سليمة للعينين، دون تحريك للشفتين، أو تمتمة بالألفاظ، فإذا أتقنوا القراءة الصامتة مع لمح المعاني بسرعة، انتقلوا إلى القراءة الجهرية، مزودين بالقدرة على سرعة القراءة وسرعة الفهم.

وأياً ما كان الأمر، فإن القراءة الصامتة هي الهدف النهائي للتعود، لأنها أعون على الفهم، وأوفر في الوقت، والجهد، حيث تختصر حركات العينين، وتقلل من توقفهما وتراجعهما. بينما الجهرية تهتم اهتماماً كبيراً بسلامة النطق ومخارج الحروف وقواعد اللغة والإعراب، هذه القواعد التي يهملها بعض المذيعين والخطباء والمتحدثين، فيجعلون من أنفسهم عرضة للسخرية والتهكم.

وثمة مواقف لا يصلح لها إلا القراءة الجهرية؛ كقراءة قصيدة أو مقطوعة للآخرين، وإلقاء تعليمات، ورواية خبر، واسترجاع تقرير، وإلقاء محاضرة.

وهي تتطلب من القارئ قدرات وكفايات ينبغي له تحصيلها والتدرب عليها، مثل الدقة في التعبير، وإظهار مخارج الحروف، والاستقلال في نطق الكلمات، كما تقتضي من القارئ أن يفسر لمستمعيه بوساطة انفعالاته الأفكار التي تتضمنها المادة المقروءة، مما يتطلب منه إغناء ثروته اللفظية، ومعرفته بقواعد اللغة والتحليل الصرفي، ومقدرته على فهم السياق.

#عنوان؟جانبي؟أول#السرعة في القراءة

إن الدقة والعمق في فهم المادة المقروءة، والغوصَ على المعاني، واستشفاف المقاصد الكامنة وراء السطور، كل ذلك من المطالب الملقاة على عاتق القارئ الناضج، ولن يتيسر له ذلك إلا بوساطة (القراءة البطيئة) التي تتيح له التوقف عند بعض النصوص المستغلقة، والتعابير الغامضة، والتأمل فيها، كما تتيح له فرصة التمتع بنص شعري، أو أدبي، أُعجب ببلاغته وجماله، أو بفكرته الجديدة، فتراه يقف عنده، ويردده ليتذوقه، ويستمتع به، ويحفظه.

أما إن كان القارئ، يحقق نصاً تراثياً مخطوطاً، أو نصاً علمياً صعباً، فإنه إلى التأني والبطء في القراءة أحوج، إذ ربما اضطره النص إلى التوقف عند سطر واحد، أو كلمة واحدة أياماً طوالاً، يراجع لأجلها العديد من المراجع، حتى يطمئن إلى صحة ما ذهب إليه.

وقل مثل ذلك في قراءة الدارس الذي يعكف على المواد المقروءة، يجيل فيها النظر، ويكرره حتى يهضمها، ويعتصر خلاصاتها، ويربط بين أفكارها.

وهكذا نجد أن القراءة المتأنية البطيئة، ضرورية جداً في بعض الحالات، لكننا، ونحن نعيش (عصر المعلومات)، الذي تضخم فيه حجم المعلومات، وتنوعت طرق تقديمها وأساليب عرضها، و لم تعد العلوم فيه مقتصرة على عدد من المتون، وعدد من الشروح والحواشي، إذا حصلها الإنسان، وأضاف إليها بعض خوالد كتب الأدب، والمعلقات الشعرية، يصقلها بها لغته، وذوقه الجمالي، يكون قد احتوى العلم من كل أطرافه.

إن الكم الهائل من المطبوعات التي تغمرنا بها المطابع، ومن المعلومات التي تنتجها مراكز الأبحاث، والمؤلفات التي تجود بها قرائح الكتاب والمؤلفين.. كل ذلك يبرز الحاجة الملحة إلى طرائق أسرع تمكننا من التهام هذا السيل العرم، كي نكون قادريه على مواجهة تضخم الثقافة في عالمنا المعاصر، وعدم التخلف عن ركاب العلم... وقد طرحت هذه الطرائق وعُبر عنها بأشكال مختلفة:

فهنالك (التحليق فوق النص): وهو التعبير الذي يطلق على تقنية يستعملها معظم الناضجين، ويمكن تعريفها بأنها: التصفح السريع للنص بغية الحصول على هدف معين منه.

وهنالك (القراءة الخاطفة): التي تتيح للقارئ أن يلم بموضوع الكتاب واتجاهه ومنهجيته؛ بالنظر في مقدمته وخاتمته وفهارسه، مع تصفحه بسرعة.

وهنالك ما يسمى (قراءة ما بين السطور)؛ التي ينصح بعض المربين بالتدرب عليها، من أجل تلمس ما يوحي به النص في أسرع وقت ممكن.

وإحدى الطرق المقبولة للتعجيل بالقراءة تقوم على (التصفح السريع للنص) بشكل ندرك فيه مقصد الكاتب، ونميز أفكاره الرئيسية، فلا نقرأ كل كلمة، بل نلمس سطح النص لمساً رقيقاً، ونحن على بينة من أن بعض جوانب هذا النص يمكن أن يفوتنا.

ويشبه ذلك ما ينصح به بعض المربين القارئ المدرَّب بأن يدفع عينيه (عبر الصفحة) بأقصى سرعة يسمح له بها فهمه، وربما فاته شيء بسبب سرعته، أو بسبب قلة تركيزه، إذ المرء لا يقرأ بكفاءة متساوية طيلة الوقت، فسوف يدرك بحسه المرهف المواضع التي فاتته من النص فيعود إليها.

ويصف البعض (القراءة السريعة) بأنها تعتمد على إدراك (الجملة) وفهم معناها بالنظرة الواحدة الشاملة، دون قراءتها كلمة كلمة، فهو يتعرف على مجموعات الكلمات بشكلها العام ومعالمها المميزة، بوصفها وحدات إجمالية، ويسير (على السطر) بالسرعة التي يستطيع بها أن يدرك المعنى، وحين يصادف كلمة جديدة أو غير مألوفة، فإنه يتوقف هنيهة ليستخرج معناها من السياق، وكلما ازدادت ألفته لما يقرأ قلت وقفاته.

إن هذه الطريقة تساعد كثيراً على سرعة القراءة، بحيث يتعود القارئ على قراءة الجملة دفعة واحدة، فيلتقطها ذهنه دفعة واحدة، دون التوقف عند كل كلمة منها، وكل حرف.

وخلاصة القول في مسألة السرعة في القراءة هي أن القراءة السريعة لا تعتمد على مقدرة القارئ على فهم النصوص فحسب، بل تمتد لتشمل هدف القارئ من قراءته، ومستوى ذكائه، وخبرته، وانقرائيه المادة، وحالة القارئ النفسية والفيزيولوجية، ومدى سيطرته على مهارات القراءة، وطريقة صوغ المادة المقروءة.

والقارئ الجيد هو الذي يستطيع أن يلائم بين غرضه من القراءة وبين سرعته فيها؛ وتكون لديه المقدرة على أن يسير في قراءته بسرعات مختلفة حسب متطلبات المادة المقروءة والغرض من القراءة.

فأنت تراه حين يتخذ بصورة لا شعورية، قبل وأثناء القراءة، قراره بشأن أكثر السرعات ملاءمة للنص، مثل قائد السيارة الذي تتحرك يده لا شعورياً لاختيار السرعة الملائمة لمتطلبات الطريق:

فمادة قانونية أو مسألة رياضية، أو صيغة كيميائية، تتطلب قراءة متأنية وتركيزاً على كل كلمة أو عنصر، بينما تستطيع أن تنطلق بسرعة في قراءة رواية خفيفة، وأن تحوم حول عناوين صحيفة يومية، وأن تحلق فوق نص أدبي أو تاريخي، وأن تقفز فوق صفحات دليل للهاتف أو معجم لغوي، بحثاً عن اسم أو كلمة.

#عنوان؟جانبي؟أول#القراءة المثمرة

إن التمتع بالقراءة شرط أساسي للاستفادة منها.

لا ترغم نفسك على قراءة ما لا تحب، فتفسد على نفسك لذة القراءة.

خذ من الكتاب ما شئت؛ إنك تريد أن تقرأ ما يفيدك، فربما كنت ترغب أن تقرأ كتاباً بأكمله بإمعان، أو كنت تريد أن تأخذ عنه فكرة سريعة دون أن تهتم بالتفاصيل، أو كنت تريد أن تقرأ منه فصلاً معيناً أو فقرة تتعلق بموضوع معين، أو أن تبحث في ثناياه عن موضوع معين...

التجربة هي التي تعلمك كيف تصل من الكتاب إلى ما تريد.

هذه قصة تقرؤها لمجرد التسلية، فأنت تقرؤها بسرعة، وقد تقفز فوق بعض فقراتها، وهذه قصة أخرى بقلم كاتب ممتاز، تعرف عمقه في طرح أفكاره ورسم شخصياته، فأنت تقرؤها بإمعان وانتباه، وربما أغرتك حوادثها المشوقة بالقفز لتعرف ماذا حدث بعد؛ لكنك ستضطر للعودة إلى ما قفزت عنه.

وهذه سيرة عالم في الكيمياء، يهمك منها حياته ولا تهمك كيمياؤه، إذ ليست الكيمياء مجال تخصصك، فاقرأ ما يهمك، ودع ما لا يهمك لآخرين يهتمون به.

وهكذا فاختلاف الغرض من القراءة، واختلاف أمزجة القراء، يؤثران فيما تقرأ وما تدع، وكيف تقرأ.

إذا قرأت عدة صفحات من كتاب، فوجدت أنك لا تميل إليه، فلا ترغم نفسك على الاستمرار في قراءته، ودعه فربما تعود إليه في وقت آخر، فإذا بك تجد فيه ما لم تجد أول مرة.

وقد تقرأ في كتاب فلا تفهمه، فماذا تصنع؟ استمر في القراءة فإن شعرت أنك مستمر في عدم الفهم، فالأرجح أنك اخترت كتاباً أعلى من مستوى معارفك، فابحث عن كتاب آخر في الموضوع نفسه، تستسيغه، فإذا فرغت من قراءته، فعد إلى كتابك الأول، فستجد أن مشكلاته قد حلت، وظلمته قد استنارت، فالشمعتان تضيئان أكثر مما تضيء الشمعة الواحدة.

ولا تقلق إذا استغلق عليك فهم بعض الأمور، فقد لا تكون أنت المخطئ، وكم من المؤلفين لا يعرفون كيف يكتبون بوضوح؛ السَّلاسة والوضوح موهبة، وملكة يفتقدها كثير من المؤلفين، مع أنها بمثابة جواز المرور إلى نفوس القراء.

حاول أن تكتشف الهيكل الأساسي للفصل الذي تقرؤه، والفروع التي تنبثق عنه، وفي كل فقرة ستجد كلاماً هاماً آخر هامشياً، فخذ ما تراه هاماً، ودوِّنه في ملخص، فسوف تظهر لكل فكرة المؤلف بكل خطواتها الأساسية والفرعية في غاية الوضوح.

ولكل كتاب، فيما عدا القصص بالطبع، فهرس مبوَّب ييسر لك استعمال الكتاب، وفن الفهرسة واسع، يهدف إلى تيسير إيصال القارئ إلى هدفه بأسرع وقت وأقل جهد؛ ففهرس للمحتويات يرسم لك خريطة الكتاب ويوضح لك فصوله الرئيسية، وفروعه التابعة، وفهرس للأعلام، وآخر للأماكن، وفهارس للآيات والأحاديث والأشعار والمذاهب والقبائل والأقوام.

وأحدث أساليب الفهرسة يقوم على توحيد هذه الفهارس جميعاً، في فهرس موحد للموضوعات مرتب على حروف المعجم الألفبائية، يتخذ الكلمات الاصطلاحية ذات الدلالة الموضوعية مفاتيح يستخدمها القارئ للولوج بها إلى ما يريد، سواءً كان ذلك موضوعاً أو اسم علم أو أي مفتاح آخر.

ومعظم الأعمال المعجمية والموسوعية تعتمد طريقة طبع سطر في رأس الصفحة يشير إلى الموضوع أو الكلمة بحرفها المعجمي الذي تبحثه في الصفحات، مما يسهل عليك الوصول إلى غرضك مباشرة وفي أقصر وقت.

ومقدمة الكتاب غالباً ما تتضمن خطة البحث التي اعتمدها المؤلف، وهدفه ومنهجه، وقراءتها في البداية تضيء لك الطريق، فتمضي في قراءتك للكتاب على بيِّنة.

كل ذلك وسائل وطرائق تهدف إلى تسريع عملية القراءة للحصول على أكبر كمية من المعلومات في أقصر زمن ممكن.

وكل هذه الأساليب والطرائق والجهود المبذولة لتيسير القراءة، من أجلك وفي خدمتك.. المهم أن تُقْبل على عالم القراءة الفسيح، وأنا واثق من أنه سينفتح أمامك بكل رحابته، وأنك واجد فيه متعتك وأنسك، بل ذاتك..

ليس لدينا وصفة طبية تحوِّل عزوفك عن القراءة إلى شغف بها، وإعراضك عنها إلى إقبال عليها.. فلابدَّ للخطوة الأولى من إرادةٍ واستعداد، أما الاستعداد فهو موجود لدى كل إنسان بدافع من غريزة حب الاطلاع والمعرفة، وأما الإرادة فهذا شأنك.

ولعل من المفيد في ختام الفصل عن مهارات القراءة أن ننقل ما أشار إليه وليم س. جراي وبرتس روجرز في كتابهما (النضج في القراءة) من سمات القارئ الناضج التي تتمثل عندهما فيما يلي:

١- حماسة أصيلة صادقة للقراءة.

٢- الميل إلى قراءة:

أ- مواد مختلفة شتى تجلب السرور، وتوسع الآفاق، وتثير التفكير المبتكر الخلاَّق.

ب- مواد لها طابع الجدية تنمي لدى القارئ فهم نفسه وفهم الآخرين، ومعرفة المشكلات ذات الطابع الاجتماعي والأدبي والأخلاقي.

جـ - قراءة عميقة في مجال معيَّن أو مواد تدور حول محور مركزي واحد.

٣- القدرة على ترجمة الكلمات إلى معان حتى يتمكن القارئ من استيعاب الأفكار المعروضة وفهمها فهماً واضحاً، وحتى يكون لديه إحساس واضح بالمشاعر التي يتضمنها الكلام المقروء.

٤- تنمية القدرة التي تنشأ عن اعتياد الإنسان أن يستخدم كل ما يعلمه أو يمكن أن يكشف عنه في تفسير معاني الأفكار أو تأويلها.

٥- القدرة على أن يدرك القارئ مواطن القوة ومواطن الضعف فيما يقرأ، وأن يكشف عمّا يكون فيها من الميل والهوى والدعاية، وأن يفكِّر الناقد في سريان الفكرة المعروضة وقيمتها، وفيما التزم به المؤلف من حيث ملاءمة المعروض وسلامته ومن حيث آراء المؤلف وما انتهى إليه من نتائج.

٦- الميل إلى دمج الأفكار الجديدة التي اكتسبها القارئ من قراءته مع تجاربه السابقة وبذلك يكتشف الجديد الأوضح في الفهم والسلوك، ويوسع ميوله واتجاهاته العقلية، ويحسّن أنماط التفكير والسلوك التي درج عليها، كما يكتسب شخصية أكثر غنى في الفكر وأكثر ثباتاً في الرأي.

٧- القدرة على أن يتحكم القارئ في السرعة التي يقرأ بها بحسب حاجات الظروف التي يقرأ فيها، أو متطلبات التفسير الملائم.

#عنوان؟جانبي؟أول#تنمية مهارات القراءة

وإن من الضروري جداً أن تعنى مناهجنا التربوية بتنمية مهارات القراءة لدى الأفراد منذ الطفولة، هذه المهارات التي تتمثل في القدرة على تمييز عدد من الكلمات بمجرد النظرة الشاملة إليها، وفي تمييز الكلمات الغريبة، وفي تنمية العادات السليمة في النظر إلى الكلمات خلال الأسطر، وفي طريقة الإمساك بالكتاب، والجلسة الصحيحة أثناء القراءة، وتقوية السرعة في القراءة الصامتة، وحسن الأداء في القراءة الجهرية، وفهم المادة المقروءة، واكتساب ثروة من الألفاظ، والقدرة على فهم المقصود من العبارات والجمل، ثم الفقرات والمقاطع، ثم الفصول والأبواب الكاملة، والقدرة على الإجابة عن الأسئلة، واستخلاص الفكرة الأساسية مما يقرأ، ومتابعة حوادث القصة أو الخبر، وتذكر المادة المقروءة.

وإن من أهم مهارات القراءة: احترام الكتاب.

فاحترام الكتاب أدب عرفناه منذ القديم، استمده آباؤنا من تقديس القرآن للكلمة وللحرف، وعلينا ألا نخالف سنة الآباء في تبجيل الكتاب، وأن ننقل هذا الاحترام إلى أبنائنا.

فالكتاب عصارة الفكر الإنساني، وتراث الأجيال، بذل فيه (المؤلف) الكثير من وقته وجهده وتجربته ومعاناته، وبذل (الناشر) في إخراجه وأنافته الكثير، كي يفخر به، فلا تفسد عليه مفخرته.

إذا أردت ترك علامة على الصفحة التي وصلت إليها، فلا تفعل ذلك بثني أطرافها أو بما يشوهها، بل استخدم لذلك علامة خاصة من الورق، وهي الآن متوافرة بأشكال أنيقة تتناسب مع حرمة الكتاب.

وإذا أردت أن تفتح صفحاته المطوية، فلا تفعل ذلك عشوائياً، بل استخدم لذلك فتاحة أو سكيناً تحافظ على صفحات الكتاب سليمة الأطراف، وقم بالعملية مرة واحدة، حتى لا تضطر إلى التوقف عن القراءة لإكمال المهمة.

وإياك أن تهين الكتاب باستعماله لغير القراءة، فلا تسند به شيئاً، ولا تضع عليه كوباً، ولا تقبله على صفحاته المكتوبة، أو تضعه على النضد فيتسخ، وازجر أولادك أن يقعدوا فوقه، أو يستخدموه متكأً.

#رقم؟فصل#القراءة بحسب الهدف

يمكن تلخيص الدوافع الباعثة على القراءة، لدى الأفراد الأكثر قراءة بما يلي:

١- حب الاطِّلاع، الذي هو دافع غريزي يمكن تنميته بواسطة البرامج التعليمية والخطط التربوية الهادفة.

٢- الرغبة في التفوق والتميز؛ علمياً واجتماعياً واقتصادياً؛ بدافع البحث عن عوامل النجاح في اقتصاد حر يبحث عن الأكفأ.

٣- الرغبة في التسلية والمتعة.

٤- الاستجابة للدعوة الدينية التي تحث على طلب العلم (من المهد إلى اللحد).

وهكذا تتنوع طرائق القراءة وأساليبها بحسب دوافعها وأهدافها.

فمن ذلك قراءة الدرس؛ التي يقوم بها الإنسان لزيادة نصيبه من العلم.

فهو يقوم بها في المدرسة ليتمكن من النجاح في المذكرات والامتحانات والحصول على الشهادات العلمية التي تؤهله لخوض غمار الحياة العملية.

كما يقوم بها في مناشط الحياة المختلفة؛ فهو يقرأ اللافتات، وجداول السكك الحديدية، والخطوط البرية والجوية، وأسماء الشوارع، ليؤمن حركة انتقاله والوصول إلى هدفه بأيسر السبل.

ويقرأ كتب الإرشادات العملية (الكتالوج) ليحسن استخدام جهاز، أو يتقن طهو طعام، أو لتطوير مهنته، وتنيمة عمله.

ويراجع في المعاجم ودوائر المعارف والموسوعات العلمية؛ بحثاً عن كلمة أو مصطلح أو مسألة يهتم بها لإلقاء محاضرة، أو كتابة مقال، أو المشاركة في ندوة.

ويقرأ مواد متخصصة مثل الحساب، والخرائط الجغرافية، والمصورات، والرسوم البيانية.

ويقرأ كتب الاجتماع والسياسة والأخلاق والدين، للوصول إلى قرار في مبدأ من مبادئ السلوك، أو قيمة خلقية، أو موقف سياسي.

وينبغي أن تكون له في كل ذلك قدرة على تنظيم المقروء بتلخيصه، واستيعابه لإعطاء فكرة عنه.

وهنالك القراءة للاستمتاع: وهي مرتبطة بأوقات الفراغ، ويندرج تحتها نوعان:

الأول: ينبع من تطلع الإنسان إلى معرفة النفس البشرية، وما يحيط بها من ظروف الحياة؛ فهو يريد أن يعرف شيئاً عن الحيوان وطرق معيشته، وعن الأقطار الأخرى، وعن الفضاء والكون، وعن الحياة في التاريخ وفي الواقع.

الثاني: ينبع من رغبة الإنسان في الابتعاد عن الواقع؛ ويبدو في رغبة الطفل في قراءة القصص الوهمية والخيالية، ورغبة الكبار في القراءة عن التغيرات المفاجئة، وأحداث الساعة، والمواقف التي يعاني منها

الآخرون، وأسرار النفس البشرية، وإدخال السرور والبهجة، وإشباع هواية من الهوايات، كل ذلك من أجل الابتعاد عن الحياة الواقعية، وصرف الذهن عن معاناة الحاضرة.

ومن الواضح أن قراءة الدرس سواءً أكانت في المدرسة، أم في مناشط الحياة المختلفة إنها قراءة إلزامية أو شبه إلزامية؛ كتبها مقررة وموادها مفروضة، وخياراتها محددة.

أما قراءة المتعة الذهنية، فهي نشاط تلقائي، متروك لاختيار الإنسان، فليحسن الاختيار، وليرتفع في مقروءاته عن المستويات الهابطة، ولينوع في هذه المقروءات، حتى لا يمل، فإن الجائع إذا أرغمته على طعام واحد عافه.

وربما تقرأ للنقد وتقديم الكتاب لغيرك: فلا تتعجل، ينبغي، وأنت تقدم الكتاب للناس، أن تكون قد استوعبته:

اقرأ الكتاب، ودوِّن ملاحظاتك أولاً بأول، وتحقق مما يورده المؤلف، من تواريخ أو إحصاءات، فقد يغلط فيما يورده من بيانات، وقارن معلوماته بما كتب غيره في الموضوع نفسه، وارصد إبداعاته، وما أضافه من أفكار جديدة على سابقيه ومعاصريه، واقرأ ما كتبه غيرك عنه، كي تستطيع أن تضع الكتاب في مكانه المناسب، وتضع تقديمك له في مكانه المناسب. وإذا أصدرت حكمك على الكتاب، فليكن ذلك بكثير من الاحتياط والعدل، فلا يحملنك الإعجاب على تجاوز العثرات، ولا الكراهية على تجاوز الحسنات؛ #>وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاّ تَعْدِلُوا@>{٥/٨:٩-١٥]<pt> {المائدة: ٥/٨]<pn>،

وتجنب الجمل العامة المرددة: الكتاب جيد، لا غنى لقارئ عنه، يتميز بالبراعة والإبداع.. إلخ.

إن تقديمك للكتاب، ينم عن اطِّلاعك، وأحكامك عليه ربما تكشف عن ضيق أفقك.

#رقم؟فصل#قراءة القرآن

#عنوان؟جانبي؟أول#١- القرآن يرسم لنا طريق قراءته

#>كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبابِ@>{٣٨/١:٢٩-٩]<pt> {ص: ٣٨/٢٩]<pn>.

في هذه الآية بيان للمقصود من تنزيل القرآن، وهو تدبر الناس لآياته، وأن هذا التدبر هو علامة بركته، وتحصيل نفعه وفائدته.

#>إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ (*) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ@>{٣٥/١:٢٩+، ٣٥/١:٣٠-٨ {

فاطر: ٣٥/٢٩-٣٠]<pn>.]<pt>

وفي هذه الآية عرض لنموذج رائع من القراءة لكتاب الله، الذين أثمرت قراءتهم إقامة للصلاة، وإنفاقاً في سبيل الله، هذا النموذج الذي تعامل مع كتاب الله تعاملاً ناجحاً يستحق المثوبة والتكريم من الله.

#>الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ@>{٢/١:١٢١-٩}<pt> {البقرة: ١٢١/٢<pn>}.

وها هنا توضيح للتلاوة المطلوبة، والتي هي سمة المؤمنين، وهي أن يتلوه حق تلاوته، أي أن يقرؤوه بوعي وإدراك لمعانيه، وتطبيق لأوامره ونواهيه.

#>أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفالُها@>{٤٧/١:٢٤-٧}<pt> {محمد: ٢٤/٤٧<pn>}.

هنا يأتي التساؤل الإلهي، بالنسبة إلى هؤلاء القراء الذين تردد ألسنتهم كلام الله، دون وعي لمقاصده، ولا تطبيق لأحكامه؛ هل أقفلت قلوبهم وعطلت عقولهم، فلا تتدبر ما تقرأ، ولا تنتفع به؟

#>أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (*) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ@>{٥٧/١:١٦+، ٥٧/١:١٧-١٣} <pt>[الحديد: ١٧-١٦/٥٧]<pn>.

وتأتي الدعوة الإلهية من جديد إلى الذين عطلوا أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم عن ذكر الله وما نزل من الحق، أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يفتحوا مغاليق قلوبهم، ويزيلوا عنها ما ران عليها من الصدأ لطول الأمد، وأن يُعملوا عقولهم بعد أن يزيلوا عنها ما تراكم عليها من غبار التقليد عبر السنين، وأن يعيدوا قراءة كتاب الله ويتلوه حق تلاوته، بأعينٍ مدركةٍ للنصوص، مفتوحة على الواقع، فسوف يجدون أن الله تعالى قادر على أن يحيي الأرض بعد موتها، قادر على أن يعيدهم إلى الحياة والعزة بالقرآن من جديد.

وكأني بالآية تشير إلى سُنَّةٍ ثابتة تخضع لها كل المجتمعات التي تنهض على دويِّ رسالةٍ، توقظها من سباتها، فتحملها وتنطلق بها، واعيةٌ لمفاهيمها، مدركةً لمقاصدها، تواجه بها كل الوقائع والمستجدات، فإذا ما اطمأنت لنجاحها، واسترخت في عزيمتها واجتهادها، وطال عليها الأمد فأورثها قسوة القلب، والعجز عن مواكبة المستجدات والتعامل معها، إذا بها تلوذ بالنصوص، وتستلهم الأقدمين تريد أن تبعثهم من قبورهم، وتسألهم أن يطلوا عليها من وراء القرون لحل مشكلاتها، فيعجزون عن ذلك، وتسقط صريعة جهلها وجمودها وكسلها واسترخائها.

وينبغي لنا أن نلاحظ أن المخاطبين في هذه الآية هم المؤمنون الذين مازالوا يتلقون الوحي، ويعيشون في صحبة الرسول (ص)، وها هو الوحي يتخوف عليهم من طول الأمد الذي أصاب الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، فكيف بنا نحن الذين تفصلنا عن زمن تنزل الوحي القرون الطوال؟!

#عنوان؟جانبي؟أول#٢- كيف كانت قراءة رسول الله للقرآن

نعتت لنا أم سلمة رضي الله عنها قراءة النَّبي (ص) بأنها كانت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً.

وحكى لنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنه صلَّى مع النبي (ص) ذات ليلة، فافتتح البقرة.. ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً؛ إذا مرَّ بآية تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله (ص): ((اقرأ علي القرآن))، فقلت يا رسول الله! أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟! قال: ((إني أحب أن أسمعه من غيري)). فقرأت عليه (سورة النساء) حتى جئت إلى هذه الآية: #>فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً@>{٤/١:٤١-١٢]<pt> {النساء: ٤/٤١<pn>[، قال: ((حسبك الآن))، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان، متفق عليه.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: ((قام النبي (ص) بآية يرددها حتى أصبح)) والآية هي: #>إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ@>{٥/١:١١٨-٤]<pt> {المائدة: ٥/١١٨<pn>[.

#عنوان؟جانبي؟أول#٢- كيف قرأ أسلافنا القرآن؟

قال عباد بن حمزة: دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: #>فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ@>{٥٢/١:٢٧-٦]<pt> {الطور: ٥٢/٢٧<pn>[فوقفت عندها، فجعَلَتْ تعيدها وتدعو، فطال علي ذلك، فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو.

وردد سعيد بن جبير #>وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ@>{٢/١:٢٨١-٦]<pt> {البقرة: ٢/٢٨١<pn>[، كما ردد أيضاً: #>يا أَيُّها الإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ@>{٨٢/١:٦-٦ {]<pt>الانفطار: ٨٢/٦<pn>[.

وكان السلف يحافظون على تلاوة القرآن، ويكثرون منها، وكانت لهم عادات مختلفة في قدر ما يقرؤون في اليوم، وقدر ما يختمون القرآن فيه.

غير أن الإمام النووي استحسن لمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، أن يقتصر في قراءته للقرآن على قدرٍ يحصل له به كمال فهم ما يقرؤه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده)).

ويبدو واضحاً من هذا الحديث، ومن فعل السلف أن تلاوتهم للقرآن كانت مصحوبة بالتدبر والتدارس، وأن ما شاء بعدهم من القراءة اللفظية لمجرد التبرك دون تدبر ولا فهم، بعيد عن جوهر التلاوة ومقاصدها.

#عنوان؟جانبي؟أول#٤- اقرأ القرآن كأنما يترل عليك

لقد كانت قراءة الشاعر الهندي (محمد إقبال) للقرآن، مختلفة عن قراءة الناس، وكان لها فضل كبير في تذوقه للقرآن، وقد حكى قصته فقال: ((كنت قد تعودت أن أقرأ القرآن كل يوم بعد صلاة الصبح، وكان أبي كلما رآني يسألني: ماذا تصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن، وظلَّ على هذه الحال ثلاث سنوات متتاليات؛ يسألني سؤاله، وأجيبه جوابي، حتى قال له ذات يوم: أبي! ما بالك تسألني السؤال نفسه، وأجيبك الجواب نفسه، ثم تعود إلى السؤال من غدٍ؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك: يا ولدي! (اقرأ القرآن كأنما يترل عليك)، ومنذ ذلك الحين بدأت أتفهم القرآن؛ أغوص في بحاره، وأطير في جوائه، وأجوب في آفاقه، فأخرج من ذلك بعلم جديد، وإشراق جديد، وأزداد إيماناً بأن القرآن هو الكتاب الخالد، والدستور الأبدي للحياة، والنبراس الهادي الذي يضيء للبشرية طريقها إذا ما ادلهمت الظلمات)).

في مقطوعة شعرية له، يقول إقبال: ((إنك أيها المسلم، لا تزال أسيراً للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم، مالك لا تستمد الحكمة رأساً من القرآن؟! واعجباً! لقد أصبح الكتاب الذي أُنزل ليمنحك الحياة، يتلى عليك الآن لتموت بسهولة إذا حضرتك الوفاة)).

#رقم؟فصل#كيف توفر للقراءة الوقت والمال

#عنوان؟جانبي؟أول#لا نجد الوقت الكافي للقراءة

هذه تعلة معظم الناس العازفين عن القراءة، والذين لا يعيرونها أي اهتمام، والذين لا يخطر في بالهم، مهما طال وقت فراغهم، أن يتناولوا كتاباً يملؤون به وقت فراغهم.

مهلاً، يا أخي، لو أردت لوجدت الوقت الكافي، إنك تضيع أوقاتاً كثيرة فيما هو دون القراءة.

كم من الأوقات تقضي في الانتظار؟ انتظارٍ في عيادة طبيب.. انتظار لمكالمة هاتفية.. انتظار في مرآب أو مطار لسيارة أو طيارة تأخرت عن موعد انطلاقها.. انتظار في السيارة أو في الطيارة في الطريق إلى بلد المقصد.. انتظار لموعد في مكتب مدير.. انتظار لتعيين في وظيفة.

أفلا تتغلب بالقراءة على ملل الانتظار؟!

كم من الساعات تقضي في تناول الطعام؛ طعام الجسد؟!

أفنبخل على عقولنا بشيء من الوقت نقضيه في ميادين القراءة: غذاء الفكر؟!

إننا نقضي مع أصحابنا أوقاتاً كثيرة للسمر، أفلا تكون لقاءاتنا أكثر جدوى ومتعة، لو أديرت على نحو مفيد؟ لنأخذ كتاباً أو موضوعاً ليكون محوراً لنقاشنا وسمرنا بدلاً من الثرثرة الفارغة حول أمور الطقس، وأحوال الجو، وشؤون الساعة، وأنواع الطعام، وآخر النكات الهابطة. أفلا نشعر بالسمو والسعادة، حين نخرج من سمرنا بأفكارٍ نمت بالحوار، وصُقِلت بالمناقشة؟!

إنك يا سيدتي تقضين ساعات طويلة في زيارة الأهل والجيران، وفي المحال التجارية تتنقلين من محل إلى محل لتمشطي سوقاً بأكمله، من أجل شراء سلعة عادية، أو لمجرد تزجية الوقت، كم يكون من المفيد، وأنتِ مضطلعة بأشرف مهمةٍ، مهمة تربية الجيل الصاعد، لو أنك أحسنت تنظيم وقتك، ووفرت من أوقات الطهو والتسوق، وقتاً للقراءة، ولو وظفتِ لقاءاتِك وزياراتك لطرح ما حصلته من قراءاتك من أفكار؟!

يقرأ القارئ العادي ٣٠٠ كلمة في الدقيقة، أي ما يعادل خمس عشرة صفحة في عشر دقائق، فلو عودت نفسك أن تقرأ عشر دقائق كل يوم لأمكن أن تقرأ كتاباً صغيراً كل أسبوع أو كتاباً كبيراً في كل شهر، أي أنك ستقرأ حوالي عشرين كتاباً في كل عام، من أحجام مختلفة، فهل يتعذر على أحد أن يوفر هذه الدقائق العشر من وقته كل يوم للقراءة؟!

لقد وضع طبيب لنفسه قانوناً صارماً أن يقرأ كل ليلة ربع ساعة، مهما تأخر في عمله، وقبل أن يأوي إلى فراشه، فإذا هو يجد نفسه بين المشتغلين في الأدب بجانب تخصصه المهني، وإذا به يشعر بسعادة غامرة، ساعدته على التفوق والنجاح في تخصصه نفسه.

وأعرف ناشراً عربياً ألزم نفسه بساعة قبل نومه يقضيها في القراءة في كتب الطبقات، وفهارس كتب التراث، وباقي فروع المعرفة، فإذا به موسوعة ناطقة، إذا جلست إليه شعرت أنك في مجالس عالمٍ مطَّلع.

#عنوان؟جانبي؟أول#كيف نوفر المال لاقتنا الكتب؟

لقد ارتفعت أثمان الكتب، و لم يعد اقتناؤها ضمن طاقة أصحاب الدخل المحدود، فهل من طريقة لتوفير المال اللازم لشرائها؟

إن شعورنا بالعجز عن شراء الكتاب يعكس نظرتنا الدونية له. ذلك أننا ندفع أحياناً في أمور كمالية وفي سلع غير ضرورية ما يمكننا من شراء عشرات الكتب.

إن بإمكاننا أن نوفر من التدخين وحده ما يكفل لنا مكتبة قيمة على مرَّ الأعوام.

أما ما نوفره من استغنائنا عن بعض السلع الاستهلاكية، ومن تأجيل شرائنا الخضر والفواكه إلى مواسمها حتى لا ندفع فيها أثماناً أعلى، فشيء كثير.

ويجب أن نُعلِّم أطفالنا أن يوفروا من مصروفاتهم لشراء كتاب، ولسوف يشعرون بسعادة غامرة إذا ضحوا بشيء من رفاهيتهم، ومن أجور مواصلاتهم، ومن ثمن ألعابهم لصالح كتاب. وترتفع قيمة الكتاب في نظرهم فوق الكماليات، وفوق بعض الحاجات.

واقتناء الكتب المستعملة، لم يعد شيئاً غريباً، وربما يحل لنا مشكلة ضعف قوتنا الشرائية، ففي معظم البلدان أماكن لعرضها بأرخص الأثمان، فعلى أسوار نهر السين في باريس، وعلى سور حديقة الأزبكية في القاهرة، وعلى الأرصفة في معظم المدن تعرض آلاف الكتب بأرخص الأثمان.

فإذا استحكم عجزنا عن الشراء، فما على الحكومات إلا أن توفر لنا فرصة المطالعة وإشباع رغبتنا في القراءة بواسطة المكتبات العامة، التي ينبغي أن تكون قريبة منا في أماكن السكن، وفي مراكز العمل.

#رقم؟فصل#وأخيراً

لم أكن أريد من هذا البحث، أن أقدم للقارئ مرجعاً وافياً عن مسائل القراءة؛ تقنياتها، وأساليبها، ومهاراتها.. ولئن لامست هذه المسائل؛ إنما لمستها لمساً رفيقاً، بالقدر الذي يخدم غرضي، تاركاً لمن يعنيه التوسع فيها، أن يعود إلى المراجع المتخصصة.

وإنما كان اهتمامي منصرفاً إلى معالجة مشكلةٍ، استحوذت على تفكيري، ومازالت تشكل همي الأكبر وشغلي الشاغل؛ تلك هي مشكلة القراءة.. مشكلة (عزوفنا) عن القراءة.. مشكلة (هجرنا) للكتاب.

أتلفت من حولي؛

أنظر في محيط أسرتي، في مجتمعي الضيق؛ زملائي في الدراسة، أصدقائي، جيراني، في المجتمع الواسع؛ موظفين، تجاراً، مهنيين، فأجد أن (الكتاب)، والرغبة في (القراءة)، والشغف بالمطالعة، لا يشغل حيزاً من الاهتمام، فضلاً عن أن يكون محوراً له، ولا يخطر في بال أحد، فضلاً عن أن يكون هاجساً يحركه، للبحث عن وسائل تحصيله.

وما أظن إلا أنك تشاركني هذا الشعور، وأنت تبحث مثلي في محيطك القريب؛ عن عدد المهتمين بالقراءة؛ بين أبنائك، جيرانك، زملائك، أصدقائك؟ كم واحداً منهم، يفكر، وهو يخرج من بيته في الصباح، حاملاً معه قائمة مستلزمات طعام اليوم من خضر ولحم وفاكهة مما يشتهون، كم واحداً منهم يفكر أن يضيف إلى قائمة مستلزمات غذاء الجسد، شيئاً من مستلزمات غذاء الفكر والروح؟! هل يبلغون عدد أصابع اليد الواحدة؟!

وإذا كنت في عداد المؤلفين؛ تحرق أعصابك، تسهر ليلك، تستغرق أوقات راحتك: تنام وتصحو، وأنت تولد فكرة ترى حاجة الجمهور إليها، أو تؤلف رواية تعكس آلام جيل يتلوى تحت وطأتها، أو تنظم شعراً تسكب فيه كل أحاسيسك ووجدانك، تترقب يوم الصدور فلا ترى إلا الصدأ، ولا يرجع إليك من صراخك صدى: وتهدي أصدقاءك عشرات النسخ ممهورة بعبارات المودة واستجداء الرأي والملاحظة، تريد أن تستمع بتفاعل الآخرين معك ولو سلباً وانتقاداً ورفضاً، فيروعك الإهمال والإعراض والتعلات. كم هو مثبطٌ ومحبطٌ هذا الموقف اللامبالي؟!

جاءني شاعرٌ مرموقٌ ذات يوم، وكان عائداً لتوه من أمسية شعرية في بلدة ريفية في بلد عربي بعيد، وكان وجهه يتهلل بشراً، فسألته عن مصدر سعادته، فقال لي بالحرف: لأول مرة أواجه جمهوراً متفاعلاً أنشدني من شعري ما كنت قد نسيته، فضلاً عن قصائدي الحديثة، قلت وهل كان جمهورك معجباً إلى هذا الحد؟! قال: أبداً، لقد وجهوا إليَّ كل ما في جعبتهم من نقد، وبعض الفتيات شتمتني، واتهمني

بالعداوة للمرأة من حيث أدعي أنني نصير لها.. لكنني كنت أشعر بسعادة غامرة، إذ ألتقي بجمهور يقرؤني، يفهمني، ينقدني، يشتمني، يصغي إلى قصائدي، ويحاول أن يحس أحاسيسي، لا كمن يستمع إلى قطعة موسيقية يترنم بها دون أن يفهم عمَّ تعبر وإلامّ ترمي.

وحضرت أمسية ثقافية، كان المحاضر فيها مؤلفاً بارزاً، يشرح فكرةً كان قد ضمنها كتبه المطبوعة منذ أكثر من ربع قرن، طبعت خلال ذلك عدة مرات، إلا أن أحداً من الحاضرين لم يكن قد اتصل بهذه الفكرة، ولا اطَّلع عليها في كتاب.. أليس هذا من المواقف المخزية التي تتكرر في حياتنا اليومية؟! وكم ستكون أمثال هذه المواقف مشجعة على الاجتهاد والإبداع؟! وكم من المؤلفين يستطيع أن يصبر على هذا الإعراض والإهمال، إلا أن يكون من النبيين والصديقين؟!

أما إذا كنت ناشراً، تبذل ما في وسعك من وقتٍ ومال وفن وإبداع، في تلبية حاجات أمتك الثقافية، وفي توفير غذائها للعقل والفكر، وتطمح إلى أن يلقى إنتاجك من الإقبال والحفاوة ما يكافئ عطاءك، فكم سيكون هول الصدمة لديك، عندما تجد الناس في وادٍ آخر، لا يكترثون لجهدك، ولا يقيمون لإنتاجك وزناً؟!

بل حين تشعر أن مهنتك في انتقاصٍ، وأن مآلها إلى الانقراض إن استمرت وتيرة العزوف عن القراءة والإعراض عن الكتاب على هذه الحال من التناقض في كمية المطبوع مع التزايد في عدد السكان ونسبة المتعلمين (غير الأُميين) منهم؟!

فإذا أردت أن تنظر إلى الموضوع من زاوية التنمية والإصلاح الاجتماعي، والارتقاء في معارج المدينة والتحضر، وأنت ترى عجز الأفكار عن النمو، نتيجة عجزها عن أن تكون في موضع التداول.. قلة من المفكرين هم المبدعون.. وكميات متناقصة من الكتب هي التي تصدر.. وحفنة من القراء هي التي تتلقى.. وقلة ضئيلة هي التي تنتقد، وتحمل الأفكار إلى الآخرين.. فأية تنمية وأي إصلاح وأي ارتقاء يرتجى؟!

لست متشائماً، ولا أحب التشاؤم واليأس، وكلَّ صنوف المواقف السلبية، إنما أريد أن أنبه إلى خطورة الموقف، وضرورة تضافر كل الجهود من أجل السيطرة عليه، والتخفيف من حدته، تمهيداً لتغييره.

كل ما أصبو إليه، هو أن أسهم بجهد متواضع في حثِّ الناس على القراءة، وتشجيعهم عليها، وإزالة الجفوة بينهم وبين الكتاب، ورفع الكتاب إلى المستوى اللائق به.

وكم ستكون سعادتي غامرة إن استطعت بكتابي ها أن أجتذب إلى عالم القراءة قارئاً واحداً من أصل كل مئة ممن يقرؤونه، و((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)) [رياض الصالحين ١٣٨٧].

أما إذا فشلتُ، وقصَّرت جهودي عن تحقيق غايتي، فذلك مبلغ جهدي وطاقتي، ومن واجب كل من يأنس من نفسه قدرة على بذل مزيد من الجهد أن يفعل، #>إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ@>{١١/٢٢:٨٨-٣٥]<pt> {هود: ١١/٨٨<pn>[.

#رقم؟فصل#المراجع

- د. محمد أحمد السيد، القراءة مفهوماً وأهمية ومتطلبات، مقال في مجلة (التربية الجديدة)، العدد ٣٩، كانون الأول ١٩٨٦م.
- د. علي شريعتي، الإنسان والإسلام، ترجمة د. عباس الترجمان، دار الصحف للنشر، طهران ١٤١١هـ.
- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة د. بسام بركة ود. أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق ط١، ١٩٨٨م.
- جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، دمشق ط١، ١٩٨٨م.
- عبد الرحمن نحلاوي، ابن قيم الجوزية (من سلسلة أعلام التربية في تاريخ الإسلام)، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٩٩١م.
- محمد محمود رضوان، تعليم القراءة للمبتدئين، مكتبة مصر.
- د. سهير القلماوي، العالم بين دفتي كتاب (دراسات في فن القراءة)، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٨م.
- غلين دومان، علم طفلك القراءة، ترجمة عدنان اليازجي.
- رالف ستيجر، دروب القراءة، ترجمة بشير النحاس، اليونيسكو، الكرمل، دمشق، ط١، ١٩٨٠م.
- د. حسن شحاته، القراءة، موسسة الخليج العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
- محمد عدنان سالم، صناعة الكتاب العربي، واقعها وآفاقها، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

#>وَكُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (*) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً@>{١٧/١:١٣+، ١٧/١:١٤-٧]<pt> {الإسراء: ١٧/١٣-١٤<pn>[.